القطوف الدواني

من شعر

إبراهيم الحضراني

جمع وتقديم

أحمد بن محمد الشامي

منشورات العصر الحديث

عيسى يوسف اللاموتي

القطوف الدواني

من شعر

إبراهيم الحضراني

القطوف الدواني

من شعر

إبراهيم الحضراني

جمع وتقديم
أحمد بن محمد الشامي

منشورات العصر الحديث

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

منشورات العصر الحديث

توزيع

دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
هاتف: ٨١٤٧١٦ - ٨١٤٦٩٧ • ص.ب: ١٤/٥٦٤٥
DAR AL-MANAHEL • TEL: 814716 - 814697 • P.O.Box: 14/5645 •
BEIRUT - LEBANON •

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنها رحلة ممتعة، ولم تكن قصيرة، تلك التي رحلتُها مع شعر صديق العمر الشاعر الأديب ابراهيم بن أحمد الحضراني، منذ قرأت له أوّل قصيدة نشرتها مجلة «الحكمة اليمانية» سنة ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩ م وحتى عامنا هذا: ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م؛ إنها رحلة نصف قرن رهيب.

خمسون عاماً هلكتْ خلالها أمَمٌ، ونشأت أمم، وانهزمت دولٌ وانتصرت دول ، واجتاحت العالم في أثنائها أحداث جسام كالحرب العالمية الثانية التي شملت أرزاؤها وكوارثها أوروبا ، وآسيا ، وإفريقية ، وأكثر اصقاع المعمورة ، ثم ما تحكّم بعدها من عزّة القوة المنتصرة، وذلّة الضعف المنهزم، وما نجم من اضطرابات وانقلابات وصراع من أجل الاستقلال والتحرّر في الهند والسند والحبشة والمغرب، والجزائر، وسائر الشرقَيْن الأقصى والأدنى، وكارثة فلسطين، وما حدث في اليمن على وجه الخصوص من مجاعات وأمراض وقحط وصراع وثورات، وما كان بعد ذلك، ومن جرّائه من مآسٍ تحدّثتُ عنها كثيراً شعراً ونثراً، كما ذكرها وتحدّث عنها غيري شعراً ونثراً. وقد كان الشاعر إبراهيم الحضراني خلال تلك الأحداث في خضمّها بل ـ ومعي ـ في دوّامتها.

ولعل القرّاء ـ ولا سيما اليمنيين ـ سيجدون لي عذراً إذا ادّعيت أن جهدي في جمع هذه «القطوف» الشعرية لم يكن سهلاً ولا ميسوراً، وأن ترتيبها واخراجها في «ديوان» قد أتعبني وأضناني، وليس لأن أشعار صديق العمر مشتتة، وأن

ابراهيم نفسه لم يتعوّد حفظ قصائده ومقطوعاته ومفرداته في الدفاتر، وليس لأنها كثيرة وفي كل وادٍ منها عصا؛ بل لكل ذلك ولأنّ الكثير من أوراقي و«سفائني»، وثمرات قراءاتي، قد تعرّضت للتلف عدّة مرّات منذ ثورة الدستور في صنعاء عام ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨ م ومروراً بانقلاب ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م فثورة الجمهورية عام ١٣٨٢ هـ/١٩٦٢ م والحرب الأهلية، والاغتراب والتنقل ما بين القاهرة ولندن وروما وباريس وبيروت حتى كان ما كان ـ ولطف اللّه ـ سنة ١٩٧٥ م وتم انتقالي إلى «برومالي» في بريطانيا حيث لا أزال حتى عامنا هذا ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م.

فهي كما قلت رحلة شعرية مع شاعر صديق استمرت خمسين عاماً؛ ولا أظن ابراهيم الحضراني قد قال في أثنائها شعراً ولم يقرأه عليّ ، أو لم أعلمه من أحبابه وأصدقائه. ولكن هناك ما لم أتمكن من الاحتفاظ به، والتهمه الضياع، للأسباب التي أشرت إليها ؛ فهل سيعذرني القراء إذا وجدوا هذه المجموعة لا تضم بعض ما يعرفونه أو سمعوا به من شعر ابراهيم الحضراني؟

لقد أردت خدمةً للأدب اليمني أن أجمع ديوان ابراهيم الحضراني وأخرجه للناس ، وعند الإقدام ـ وبعد مراجعة مع صاحبه ـ وجدت أن أشعاراً كثيرة ليست في حوزتي بل ولا في حوزة ابراهيم نفسه، إلا ما يتذكره من مطالع أو نتفٍ كانت قصائد طويلة، ووجدتني، وأنا أجمع هذه «القطوف» في حديقة أشبه بغابة وحشية، فيها أشجار الفواكه المثمرة مبثوثة تتفيّأ ظلال أشجار الطلح والخابور، والزهور الفوّاحة للورد والفل والياسمين منثورة بين الأدواح الباسقة، ولذلك لم أهتم إلّا بجمعها دون تنضيد أو تنسيق؛ فلم أرتّبها تاريخياً، ولا موضوعياً، ولا حسب القوافي، بل عمدت إلى ما أجده من شعره في ورقة بالية عتيقة بخط ابراهيم نفسه، أو كتَبْتُه في دفاتري التي لم تضع قبل أربعين أو ثلاثين عاما، أو استطعت الاحتفاظ به في الذاكرة، أو في كتب من تحدّث عن الشاعر من الكتّاب والنقّاد، وقرّرت إخراجه للناس في ديوان، ولا شك أن ثمة أشعاراً كثيرة في الرثاء والمديح والنسيب وسائر الأبواب الشعرية لا تزال في زوايا النسيان، وأنها

قد تكوّنُ في يومٍ مَا الجزء الثاني من ديوان «القطوف الدواني»، لابراهيم الحضراني.

ومن هو الشاعر ابراهيم الحضراني؟

تلك هي قصّتي مع هذه «القطوف»، أما شاعرها فقد تحدّثت عنه في جلّ مؤلفاتي ومحاضراتي الأدبية ، وترجمت له في كتابي «شعراء اليمن في الجاهلية والإسلام» والذي نشرت جريدة «الشرق الأوسط» القسم الأول منه فيمن اسمه «إبراهيم»، وبينهم «شاعر القطوف».

ولعله يجدر بي أن أقتطف في هذه المقدمة ما سبق أن قلته أو كتبته عنه، وأضيف ما قاله عنه بعض الأدباء الذين تحدثوا عن الشعر والشعراء في اليمن.

إبراهيم بن أحمد الحضراني
(١٣٣٩هـ / ١٩٢١م)

الشاعر الألمعي ، ابن الشاعر الراوية ، ابن الشاعر العالم؛ الأديب الظريف الأريحي اللطيف ابراهيم بن أحمد بن محمد الحضراني؛ ولد سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١ م ، ونشأ في بيت جهاد وأدب وكدّ واجتهاد ، وتنقل في طفولته ما بين آنس وذمار والبيضاء مع والده العالم الشاعر الفارس الراوية القاضي أحمد بن محمد الحضراني الآتي ذكره إن شاء اللّه.

وابراهيم في طليعة الطبقة الأولى من شعراء اليمن ـ لا أقول ـ في القرن الرابع عشر الهجري بل عبر العصور في الجاهلية والإسلام.

عرفته ـ أول ما عرفته شخصياً ـ بتعز سنة ١٣٦١ هـ/١٩٤٣ م فعرفت الظرف يتحدث، واللّطف يُغنّي؛ إلى ذكاء وألمعيّة، وتصوف ورقة؛ فأخلصتُ له ودّي، وامتزجنا امتزاجاً شعرياً وأدبياً مخلصاً للفن، والكلمة، والحق والجمال، في شتى صوره وأشكاله ، وقد تحدثت عن ذلك في أماكن أخرى من كتبي، ومما قلته وأنا أترجم لبعض شعراء اليمن منذ سنوات وأحاول أن أصوّرهم في ديباجات فنية، قلت عن ابراهيم الحضراني: «غمامة الفجر التي.. تقطر الندى.. على زهور الحب.. ارتعشت ذات صباح في سماء حمير وسكبت من روحها رشفة نور؛ في قلب مخلوق لطيف، سموه «ابراهيم»؛ الشاعر «الخليل»، الساحر الفنان، الملهم الموهوب؛ كم غسلت آلامه الدموع، وكفكفت دموعه الأحلام! كم هام طائراً.. مغرداً لنفسه، يشدو لحبه، يرتل القصيد، وسار في مناكب الوجود.. واحتسى العِبر، وخبر البشر، فكان أشجى من شعر، وأطرب الأسماع، ورقّص القلوب، النار من عناصر وجدانه وهو وجدان النور، والجدّ والمزاح، والشرود والصلاح، والحرام والمباح، وخير ما يُرجى، وشر ما يُخشى، تقطرت في نغمات

«ذي القروح» و«الأعشى» و«الحكمي» و«الهَبَلْ».. رحيق نشوةٍ مزجها الشعر بمذاب الحب والحياة هدية الجمال للشاعر الملهم ابراهيم بن أحمد الحضراني».

«أبدع من نسّق لغة الجمال في نغم البيان؛ لا زال في منادحه، يلهو سعيداً مشرق الضمير».

هذا هو ابراهيم الحضراني والذي لا أستطيع اليوم ـ وبعد عشرتنا الطويلة في تعز وصنعاء والحديدة وقاهرة «حجة» بل وسجن «نافع» وبعد أربعين عاماً منذ أوّل لقاء ـ أن أقول أكثر أو أبدع منه عن شعره وأدبه وخفة روحه، وسلامة طويته، ومنادح أفكاره وأشجانه.

إنه دنيا قائمة بذاتها قاراتها الظرف والحب والجمال والمجون. أما أول شعر قرأته له فهو تلك القصيدة البائية التي وجهها إلى رئيس تحرير مجلة «الحكمة اليمانية» السيد العالم المصلح الكبير أحمد عبد الوهاب الوريث ونشرها في عدد رقم ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٥٨ هـ (يناير ١٩٤١ م) وهو في حوالى العشرين وكنتُ في السادسة عشرة ومطلعها :

أيها القائم بالأمر.. الذي يُرضي الكتابا
دُمْ لليل الجهل في الأمّة بدراً لن يُغابا
لا تظن السعي والإخلاص لا يفتح بابا
سوف تجني من ثمار المجد ما لذّ.. وطابا
وتُربّي من عقول القوم ما أضحى يبابا

[إلى آخرها ـ وانظر الديوان].

وأذكر أني حين قرأت هذه القصيدة.. وكنت كما قلت في السادسة عشرة من سني العمر قد اعجبت بالشاعر الشاب ـ كما وصفته المجلة ـ ابراهيم الحضراني وطربت للبيتين الأخيرين «زاحموا الدعموص» و«تراهم من خيوط الشمس» ووقفت عند كلمة «الدّعموص» إذ لم أكن أدري معناها ورجعت إلى القاموس فإذا به يقول: «الدعموص دودة سوداء تكون في الغدران إذا نشّت» وتساءلت هل كان

هناك دويبة مائية أو بحرية تكون أكثر مواءمة وأليق بمزاحمة الإنسان غير هـذه الدودة التي تكون في الغدران الرّاكدة؟ وكان ذلك أوّل خاطرة نقد أتذكرها. وهي تدل على أن وراءها من سيشغل الناس بخواطره.

ولعل قلم رئيس تحرير مجلة «الحكمة اليمانية» والمخاطب بالقصيدة وقد كان أديباً وعالماً وشاعراً، وموجهاً، وقائداً لآمال شباب اليمن يومذاك، قد تصرّف في بعض ألفاظ القصيدة وأبياتها حذفاً وترميماً وقد أثبتها كاملة وكما وردت في المجلة ولم أحذف منها شيئاً لأنها تمثل بوضوح وصراحة طموحات وأفكار وثقافة ومبادىء ابراهيم الحضراني الشاعر الشاب؛ بل والمُثل العليا التي كان يتطلع إليها ويؤمن بها ويريد تحقيقها جميع شعراء وأدباء ومثقفي أبناء جيله في «ذمار» و«صنعاء» و«تعز»، و«الحديدة» وغيرها من مدن اليمن حينذاك (١٣٥٨ هـ / ١٩٤١ م) .

«السعي والاخلاص»، «ثمار المجد»، «اتباع الحق».

قـل؛ ولا تخش فـما فـا ز امـرؤٌ داري وحـابـا

«منفعة الشعب» و«تحمل الصعاب في سبيل المجد» إلى غير ذلك، ولقد حدثني ابراهيم عن مبلغ ومدى غبطته وسروره ونشوته الكبرى حين حمل بريد «صنعاء» المجلة إلى «ذمار» ورأى اسمه فيها مكتوبا لأوّل مرّة يقرأه النـاس، ويعرفون أنه شاعر يدري ما هو «الدعموص»؛ وكيف أحسّ بالتباهي والفخـر رغم ما كان يُعانيه من كَبَدَ الحياة وشظفها، ومتاعب العيش وقسوته.

ومن هو يا ترى هذا الدهر الّذي ذابت من تجنّيه وعناده قلوب الأحرار؟ «وخاس وعاب»، و«صيّر الحرّ عبداً» و«الرأس ذنابا»؟ ومن هم أولئك الذين ليس في قلوبهم غيرة على الدين من شباب المسلمين والذين أنّبهم بقوله:

خـاس مـن لم يخـدم الأمـة والـدّيـن وخـابـا؟

ومن هو صاحبُ المجد والمال والخيل والركاب الذي جعلها كلّ مجده، والذي يقسم بربّ العرش ومن سيّر في الأفق السحابا انّها سوف تتلاشى عنه، وتصبح سرابا، وليس ذلك فحسب.. بل ويـرى بعدهـا «العجب العجابـا»!

ويتمنى عندها «لو أنه كان ترابا»! ماذا كان يجول في خيال إبراهيم الشاعر الشاب؟ وهل كان يستشف ما وراء الغيب؟ وأحوالا ستحول!

إن كل تلك المثل والمطامح كانت تفيض بها مشاعر جيل ابراهيم ولقد مثّلها إبراهيم وأترابه المثقفون، وانفعلوا بها قولاً وسلوكاً حتى وجدوا أنفسهم مُصَفّدين في الأغلال في سجون حجة ، وصنعاء وتعز وإب والحديدة سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ومنهم من قضى نحبه ومنهم من عاش وتطوّرت به تقلبات الدهر الخؤون ، ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا .

ولا شك أن إبراهيم الحضراني قد تأثر بشعر وأفكار شعراء العراق والشام ومصر في ذلك الزمان، وبصورة خاصة وفي هذه القصيدة بالذّات بقصيدة أحمد شوقي التي خاطب بها «عمال مصر» قبل أن يُنشيء ابراهيم قصيدته ببضعة عشر عاماً ومطلعها:

أيّها العمال أفنوا الـ عُمر كدّاً واكتسابا

ترى هل لا يزال ابراهيم وبعض أترابه الذين لا يزالون على قيد الحياة يؤمنون بتلك المثالية الصادقة السامية؟ في مثل قوله:

إنّما الماجد من لم يأل للمجد طلابا
ويرى ما خالف الحق وإن جلّ سرابا
فهو لا يخشى إذا ما قال بالحق عقابا!

وقوله:

فاز من شبّ على ما ينفع الشعب وشابا

وقوله:

خاس من لم يخدم الأمة والدين وخابا

وقوله:

قل؛ ولا تخشَ فما فا ز امرؤ دارى وحابا
أبعد اللّه امرءاً عن منهج الحق تغابى

أم إنه لو قدّر له أو لأحد من شعراء جيله أن يخاطب اليمنيين اليوم وبعد أربعين عاماً واليمن تمرّ بمرحلة أشبه بالفترة التي كانت تجتازها مصر منذ ستين عاماً لفضّل أن يقول لهم ما قاله شوقي للعمال:

أيها الجمع؛ لقد صرت من المجلس قابا
فكن الحرّ اختيارا وكن الحرَّ انتخابا
إن للقوم لَعَيْناً ليس تألوك ارتقابا
فتوقع أن يقولوا من عن «العمال» نابا
ليس بالأمر جديرا كل من ألقى خطابا
أو سخا بالمال، أو قدّم جاها وانتسابا
أو رأى أميّة، فاختلب الجهل اختلابا
فتخيّر كلّ من شبّ على «الصدق» وشابا

إلى أن يقول:

اطلبوا الحقّ برفق واجعلوا الواجب دابا
واستقيموا؛ يفتح اللّه لكم بابا. فبابا
اهجروا الخمر تطيعوا اللّه، أو ترضوا الكتابا
إنها رجس فطوبى لامرىء كف، وتابا
ترعش الأيدي؛ ومن يرعش من الصنّاع خابا

إلى آخرها؟ يا ليت شعري! ولعلّ.. وربّما.. ولكن مما لا شك فيه أن قصيدة ابراهيم وقبل أربعين عاما كانت تصوره مع جيله المتعطش للمجد وفي إطار المثل العليا لذلك الزمان أصدق تمثيل.

ولي مع ابراهيم من الذكريات وبيني وبينه من المراسلات الشعرية والأدبية ما لو جمع لكان سفراً كبيراً ولقد كنت وإياه عمودي «البريد الأدبي» في الفترة ما بين ١٩٤٦ و١٩٤٨ م (١٣٦٥ ـ١٣٦٧ هـ) . وساهم في تحرير مجلة السلوة الخطية ومجلة «الندوة الأدبية» التي كنت أرئس تحريرها في معتقل قاهرة حجة ما بين فترة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ م (١٣٧١ ـ ١٣٧٣ هـ) وبعد خروجه من المعتقل شغل عدة مناصب في «حيس» و«الحديدة» و«صنعاء» وبعد ثورة سنة ١٩٦٢ م (١٣٨٢ هـ)

عمل نائباً لوزارة الإعلام؛ ثم عمل في السلك الـديبلوماسي بـالقاهـرة وبغداد والكـويت ومثل اليمن وأدبـاءها في معـظم المؤتمرات الشعـرية والفنيـة والأدبية والثقافية في البلدان العربيّة فخلب الألباب بأشعاره، وكسب محبة واعجاب كلّ من سمعه يحاضر أو يتحدّث، وكان زميلاً وصديقاً ومسامراً ونديماً لأمثال عـلي باكثير وأحمد رامي ومحمود حسن اسماعيل وصالح جـودت وكبار أدبـاء وشعراء العرب في القاهرة وبغداد ودمشق وتونس والجزائـر والريـاض والخليج العـربي وسمعتُ ـ والعهدة على الرّاوي ـ أن الأستاذ محمود محمد شاكر لمّـا جلس معه ابراهيم الحضراني قال عنه «إنه إمام أدب وحفظ» والأستاذ شاكر هو من هو علماً وأدباً وحفظاً؛ ولو أنه قد عرف أبا إبراهيم القاضي أحمد بن محمد الحضراني الذي لا مثيل له ولا نظير في عصرنا لعرف أنه «إمام صغير» ابن «إمام كبير».

وأشعاره كثيرة جداً تقع في مجلّدات، وللأسف إنه غير مهتم بجمعها، وكثير من أصدقائه والمحبين للفن والأدب الرفيع يناشدون «مركز الدراسات» اليمنية ووزارة الإعلام والثقافة في اليمن المبادرة بالبحث عن ذلك الكنز الثمين والعناية به قبل أن يلتهمه الضياع. وقد ضاع منه الكثير مع الأسف الشديد ولابنه إبراهيم في «الشعر الحميني» قصائد ومقطوعات رائعة، وهو ملمّ بلغات ولهجات القبائل اليمنية، أخذ ذلك بالتنقّل والممارسة وعن والده القاضي أحمد بن محمد الحضراني. وأخوه محمد من أعلام الشعر الحميني في اليمن وله ترجمة في المعجم؛ ومن بدائع ابراهيم القصيدة التي القاها أمام الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين وكان لا يزال ولياً للعهد وأميراً على لواء «تعز» مهنئاً له بعيد الأضحى سنة ١٣٦٣ هـ (نوفمبر سنة ١٩٤٤ م) ولهذه القصيدة أسباب ودوافع كوّنت بالجو الشعري الذي كـان يعيشه ويحيا فيه الشاعر حين نظمها، والتي ستزيد القراء معرفة بها وبصاحبها إذا ما شرحتها؛ ولا سيما ولي علاقة متينة بها وبخلق أجوائها إذ قد كنت مع ابراهيم والزميل محمد الفسيل نكوّن ثالوثاً أدبيّاً لفت الأنظار في «تعز» وكانت لنا أفكار ونظرات أدبية يعدّها البعض جديدة على المجتمع حينذاك، وكنا نجهر بالدعوة إلى التجديد في الشعر أوزاناً وقوافي ومواضيع، بل وفي التـدريس ومناهج التعليم،

ونقرأ الرافعي، وطه حسين، وجبران، وعلي محمود، وأحمد رامي، والشابي، ومحمد عبده، وقصة الفلسفة القديمة والحديثة! وتحدثنا يوماً في إحدى مجالس القات عن «غاية السّول في علم الأصول» و«ديوان المتنبي» وعن مسألة ما فوق الفوق، والأجرام السماوية، وعالم الفضاء اللانهائي، وعن الجنة والنار وهل قد خُلِقا؟ وأين هما؟ وفي أيّ مكان؟ والجنّة وحدها عرضها عرض السماوات والأرض! وعن الجهر والصراخ بالأدعية والصّلوات على الرسول (ﷺ) وأنّ خفض الأصوات أفضل وأقرب إلى الخشوع ونحو ذلك! ولعلّ بعض الحاضرين قد ساء فهمه لتلك الأحاديث أو لدوافعها وأسبابها، وربما أنّ بعض الفضوليين قد زاد فيها ونقّص، فبلغوها إلى ولي العهد الأمير أحمد مشوّهة؛ فثار ثورة عارمة؛ طيلة اليوم التالي وتهدّد وتوعّد «العصريّين» الذين ينكرون السماوات والجنة والنار ويستنكرون الصلاة على الرسول (ﷺ) ويفضّلون المتنبي على الحسين بن القاسم الخ وقال إنه سيلقى اللّه متقربا بدمائهم، وجرى بينه وبين السيد العلامة الشاعر زيد الموشكي حوارٌ حاد؛ وكان الأمير قد صرّح بأسمائنا الثلاثة «الشامي» و«الحضراني» و«الفسيل» وبعد ذلك المجلس بأيام نزح الأستاذ أحمد محمد نعمان والأستاذ محمد محمود الزبيري فارّين إلى «عدن» وبعد أسبوع تبعتهما مع الأخ زيد الموشكي وكوّنا حزب الأحرار.

واعتقل الأمير «ولي العهد أحمد» الأديب محمد عبد اللّه الفسيل رفيق الشامي وزميله، وأقبل عيد الأضحى سنة ١٣٦٣ هـ/١٩٤٤ م بعد بضعة أشهر وقد ارتفع صوت حزب الأحرار بعدن ينادي بالإصلاح، والتحق بنا الكثير من شعراء وأدباء اليمن إلى عدن وازدحمت السجون بالمعتقلين في صنعاء وحجة ولم يبق من ذلك «الثالوث» طليقاً حرّاً خائفاً يترقب غير ابراهيم الحضراني فقال يهنيء «الأمير» بالعيد الكبير:

عواطف

قدسيّة الحب منها صغت أوزاني ... وحولها حمت كي أمتاح ألحاني
والشعر لن يخلب الألباب رونقُه ... إن لم يذب فيه قلب المغرم العاني

يا من أذبت فؤادي في هواه وما مُنيتُ إلّا بإبعاد وحرمان
ما زال يصطاد بالآمال مجتهداً قلبي ويرميه من آن إلى آن
حتى ذوى زهر آمالي، وأعقب لي بين الجوانح آلامي وأحزاني
أهذه هي أيام الصّبا، وإلى رجوعها يتنزّى العاجز الفاني؟
فلو بلغتُ قصارى العمر ما نزعت عواطفي نحوها يوما ووجداني
ماذا؟ سوى أنّة حرّى يكاد لها قلبٌ يذوب؛ وجفن دمعه قانِ؛
وصاحب أنا لا أنفكّ أذكره على المدى وهو لا ينفك ينساني

[إلى آخرها وانظرها في الديوان].

فأنت تراه قد تحدّث عن الحب بلوعة وحنان وتشكّي من أيام وليالي الشباب واستنكر واستغرب التلهف والحنين إليها إذ إنه لم يجد فيها متعة ولا خيراً؛ ولم يَجْنِ فيها غير الأنات والدموع..! ثم يؤكد «في دعوى اللامبالي» أنّ له دنيا مستقلة وعالما آخر يصرفه عن عوالم البشر ويعرّض بأصدقائه الشعراء الذين نزحوا إلى عدن ويحذرهم من إيقاظ الفتنة العمياء قائلاً: دعوني اعش في دنياي الخاصّة، ولستم من همّي ولا شأني لأن نفسي خلية عمّا تهتمون به، ولها منها منادح لذلك لا تحنق على الزمان ولا تحقد على إنسان مخاطباً الأمير بقوله:

وأنت لا زلت ياذا الجاه في دعة مباركاً لك في مال وولدان

ويعود فيمتدح جنته الشعرية الخاصة وكأنّه يزيد من طمأنة الأمير؛ بأنه مشغول بحسنها الفذّ عن الإنس والجنّ، يجري في منعطفاتها وراء بنات عبقر، وأنغامها تملأ وجدانه، وتنسيه كلّ ما حوله فلا شأن له ولا اهتمام بساس ويسوس، ولا بأحاديث الناس عن «حزب الأحرار» الذي كوّنه أصدقاؤه. ولا شك أنه قد أراد إثارة إعجاب الأمير وأن يبعث البسمات، بل والقهقهة، عندما قال:

لي جنة شيّدتها لي ملائكةٌ أو ربما هي من إبداع شيطاني

لكنه أيضا لم يتمالك إلّا أن يقول وكأنّه قد تورّط في قوله هذا دون شعور:

هُنا هُنا ضجّة كبرى، وعاطفةٌ تطغى، وثورة بركان ونيران

وهو بيت مفرد يصوّر ابراهيم الحضراني الشاعر المصلح الذي قال من قبل:

قل ؛ ولا تخش فما فا ز امرؤ دارى وحابا

لكنه سرعان ما يتدارك السياق فيصرخ:

مولاي لولا حنانٌ منك لاشتعلت نفسي بنـار صبابـاتي وأحـزاني

ويمتدح حنو الأمير؛ وأنه وحده الذي يرعاه ونجّاه من عفريت الزمان وقد كان في يده كالحمل بين أنياب الذّئب العقور، وهي صورة بيانية بديعة؛ مؤكداً للأمير أنه مطمئن كل الاطمئنان راض كل الرضى بحياته في كنفه حيث لا ينغصه ضميره، ولا يخاصمه عقله، ولا يخزه وجدانه، إن عاش عاش في وطنه سعيداً وإن مات فإلى روح وريحان ولذلك فهو يؤدي واجب الشكر وليس كمن قد غمطوا نعم «الأمير» وهو بذلك يعرض بأصدقائه الذين فرّوا إلى «عدن» وأنشأوا «حزب الأحرار» وطالبوا بالتغيير. . ولا شك أنه قد بلغه ما قد نشب بين أصدقائه النازحين من خلافات تنظيمية؛ اتّخذ حيالها «نعمان»، و«الزبيري» وآخرون موقفا، واتخذ «الموشكي» و«الشامي» ـ كاتب السطور ـ و«دمّاج» و«الحكيمي» و«أبوراس» وآخرون موقفاً آخر. . وانّه قد بلغه أن بعض أصدقائه قد ضاق بالغربة ومتاعبها. . فكان لا بدّ لابراهيم وهو الشاعر والصديق أن ينفعل ويقول شيئاً.

قلت إن إبراهيم الحضراني الصديق والشاعر قد بلغه ما نشب من خلافات تنظيمية اتخذ حيالها الأستاذان الجليلان أحمد محمد نعمان، ومحمد محمود الزبيري وآخرون موقفاً معيّناً واتخذ الأساتذة والمشايخ زيد بن علي الموشكي ومطيع دماج، وعبد اللّه علي الحكيمي، وأحمد الشامي، وأبو راس، والقوسي وآخرون موقفاً آخر، وأنه قد بلغه أن بعض أصدقائه قد ضاق بالغربة ومتاعبها؛ وأن الزبيري أصبح يقول:

أنا طيرٌ حطّم المقدور عشي وجناحي
ورماني في نثار من دموعي ونواحي
لا أرى إلا ظلاما في غدوّي ورواحي
وحياة في صراع ونضالٍ وكفاحِ

وديا جير .ثقالا نوّما في كل ساح !
سدّت الطرق إلى عشّي من كلِّ النواحي
لم أجد لمعة نورٍ في اغترابي وانتزاحي
في سوى عشي لا تنزل أضواء الصباح
ما على الأقدار إن عدت لأهلي من جناح

ويقول:

آه ويح الغريب ماذا يقاسي من عذاب النوى وماذا يعاني
كشفت لي في غربتي سوءة الد نيا ولاحت هناتها لعيَاني
كلّما نلتُ لذّة أنذرتني فتلفتُّ خيفة من زماني
وإذا رمتُ بسمة لاح مرآى وطني فاستفزّني ونهاني
ليس في الأرض للغريب سوى الد مع، ولا في السماء، غير الأماني
زفراتي؛ طوفي سماء بلادي وانهلي من شعاعها الريّان
اطفئي لوعتي بها، وأغمسي رو حي فيها، وبرّدي ألحاني
وصلي جيرتي، وأهلي وأحبا بي، وقصّي عليهم ما دهاني
وانثري في ثراهمو قبلاتي واملأي رحب افقهم من حناني

وصديقه، ومن كان يريد أن يهاجر معه «أحمد الشامي» يقول من قصيدة:

وأعانيه ادّكارا واشتياقا، واغترابا
أنظر الكون ظلاما وأرى الناس ذئابا
حسرة أبكي أماني وأحلامي العذابا
خيبة أندبُ آمالي؛ وما زلت شبابا

ويقول:

قدرٌ أو مصيبةٌ، أو جنونٌ ليس يدري ماذا دهاه فهاما ؟
ليس في وسعه الكلام ومن جلَّ مصاباً؛ لا يستطيع الكلاما ؟
كل ما في لسانه أنه زاغ عن الأهل.. خشية أن يضاما

إلى آخر القصيدة.. إنه قد فزع لتلك الصور الكئيبة والأصوات الحزينة

المبللة بالدموع المذبوحة بالأنين وإذاً فليصرخ قائلاً:

ويحي فماذا عساه كان يحدث لو أطعت بعض أُصيحابي وخلاني

إلى آخر الأبيات؛ ولم يكتف بهذا بل سرعان ما استأنف تمجيد الأمير ذي القلب الكبير المتيّم بالرحمة وفعل الجميل والذي حتى وإن قسا فإنه إنما يلجأ إلى ذلك تأديباً وزجراً كما يفعل الأب الحنون الحكيم.

وعندما وصلتنا القصيدة إلى عدن وقرأنا هذه القطعة: «ويحي فماذا عساه» إلى آخرها استغرقنا في الضحك ولا سيما عندما قال:

لذاك ما رامه بالسوء ذو سفهٍ إلا وآب بخذلان وخسران

إذ قد بدأت مشاعر الرغبة في العودة تداعب البعض منا وطبعاً لن تكون عودة نصر وظفر بل خذلان وخسران. وأما أظرف ما في القصيدة فهو قوله محاولاً إظهار نفسه في لبوس الزاهد في الحياة الدنيا وزخرفها ثم استدراكه بأنه ربما لم يكن كذلك بل إن الدنيا نفسها هي الزاهدة فيه وفي أمثاله ولا شك أن «الأمير» قد استظرف المعنى، ولا سيما وقد أكّد له الشاعر أنه لا يحب بعد اللّه ورسوله سواه لأنه الذي نجّاه وآواه.

وكان ابراهيم قد أنشد الأمير ولي العهد قصيدة طويلة أخرى هنأه فيها بعيد الفطر في شوال سنة ١٣٦٣ هـ (سبتمبر ١٩٤٤ م) ولم يكن قد مرّ على نزوح الزبيري ونعمان والموشكي والشامي غير ثلاثة أشهر ومطلع القصيدة:

شاعر بات سادرا في مكانه مصغياً لاستماع همس جنانهِ
تارة للحياة يُصغي، وطورا لصداها يجيش في وجدانه
بات يوري بواعث الفنّ حتى هاج فيه الخفيّ من أشجانه
عجباً منه شاعراً وهو في كل أوان يهيم في وديانه
يحسب الشعر نازحاً قد تولّى عنه وهو الغريق في طوفانه

ولا ريب أن ابراهيم ـ بوعي أو بلا وعي ـ كان يتحدّث عن نفسه لأنّه هو الشاعر الذي ظل سادرا في مكانه وأما الآخرون فمنهم من نزح إلى «عدن»

ومنهم من غيّبته «السجون» ولذلك فقد أحسّ بأنه الغرّيد الفريد في ذلك الجوّ وأراد أن يخلب ألباب السامعين ـ ولا سيما الأمير ـ بنغمة جديدة لم يتعودوا استماعها في مثل هذه المناسبات فقال:

إيه يا شاعر انتبه ها هو الكون غدا منصتا إلى فنّانه
فتنقّل ما شئت في جوّه الرحب وحُمْ كالفراش حول جنانه
إنما الكون مصحف أنت ياشا عرقاري الجلال من تبيانه
طر مع نسمة الصباح وعانق كل غصن يميس في أفنانه
وتنسّم ما شئت من عبق الأزهار، واجن الجنيّ من ريحانه
وتسرّب إلى قلوب المحبّين بنشر الربيع في إبّانه
وتلطف وحيّ أسرى «كيوبيد» وطف كالنسيم في أشجانه
فهناك القلوب كلمى، هناك النار تطغى؛ هناك وخز سنانه

ولا أدري بأي أحاسيس قد استمع الناس ومنهم العلماء والفقهاء، وقادة الجيش في حفل «العيد» الذي يتربّع على عرشه «ولي العهد» سيف الإسلام أحمد إلى الشاعر المجدّد ابراهيم الحضراني يفتتح قصيدته بمثل هذا البيان عن الشاعر والشعر و«كيوبيد» وكان قد عوّدهم شاعر اليمن محمد محمود الزبيري أن يقول في مثل هذا الحفل:

العيد من بسمات ثغرك يشرقُ والدهر حول جلال عرشك يطرق
والأرض نيّرة بوجهك تزدهي والشعب أفئدة بحبك تخفق

أو بمثل قوله في أبيه الإمام يحيى بن محمد حميد الدين:

من نور هذا المحيا يشرق العيد ويعبق المجد والعلياء والجود
ما للمحاكم تستفتي أهلتها، وأنت يا سيّد الأقمار موجود؟
ما أنت إلا شعاع اللّه جاء به من غرة المصطفى آباؤك الصيد

ولكن ابراهيم لا شك أنه قد أرضى الأمير الكبير وأطرب السامعين وبدّد وحشة الصمت بصوته الرصين وهو يتفنّن في مدح الأمير بعد أن تحدث عن الحرب العالمية الثانية التي كانت تطحن الوجود، وبعد أن تحدث عن الشرق وأمجاده وفضله

على الحضارة، وعن الغرب وطغيانه وعن لمآسي الحرب التي:

فتحت للشقاء باباً وألقت اسراء النّعيم في أحضانه
هتف الفيلسوف يبغي نجاة من ضجيج الزمان من غليانه
وانبرى يشرح السعادة للناس جميعاً بسحره ببيانه
فتلاشى أنينه في خضمّ صاخب كالجحيم في طغيانه

* * *

وطني؛ لا عليك قد صانك اللَّه وألقى عليك ظلّ أمانه
لك هادٍ من نوره، لك سيفٌ يدفع السوء عنك من قرآنه
لك يا موطني سراةٌ عليهم رضى اللَّه في قديم زمانه!
هُم دعاة الإله فينا، وهم ما برحوا اليوم حارسي أديانه
حملوا مشعل الهداية للخلق وليل الضلال في عنفوانه
كلّ ليث منهم يدافع عنا كدفاع الكريم عن صبيانه
يثب الدّهر بالخطوب، وهذا شمس دين الإله من أقرانه
جاءنا العيد نوره من محيّا ه مضيئاً ولطفه من جنانه

[إلى آخرها، راجعها في الديوان]

ولعلّها لم تكن من المصادفات اختياري لنفس الوزن والقافية عندما عدتُ، وآب معي أيضاً «زيد الموشكي» والشيخ «عبد اللَّه الحكيمي» و«مطيع دماج» و«حسن أبو راس» و«محمد القوسي» و«محمد صالح جميزه» و«عبد اللَّه عبد الوهاب نعمان» إلى تعز طالبين عفو الأمير وأنشدت في مجلسه قصيدتي «اعتراف» ومطلعها:

خلّه يخلب النّهى ببيانِه ويناجي آماله بلسانه
دعه يبكي أحلامه بدموع عصرت من شعوره وحنانِه
ويغنّي كما يشاء ويسقي ثمرات الأوهام من ألحانه
يرسل الصوت مظلماً كمنت فيه، وفي لفظه هموم جنانه
كالشعور الجريح كالأمل الخائب؛ كالطير ضلّ عن أفنانه

ومنها:

أنا كالعابد الذي هجر الكون وأمدى ولجّ في نسيانه
أثخنت قلبي الجراح فتيّا وغرور الشباب في عنفوانه
كم صروف قاسيتها؛ كم ظروف كنت فيها كالميت في أكفانه
كالذي يغسل الظلام عن الأرض بدمع يسيل من أجفانه
أو كمن يعلن الكفاح ولا يملك من قوة سوى إعلانه
أحرقت قلبي الهموم وما شكواي إلاّ بقيّة من دخانه
[إلى آخرها].

وابراهيم الحضراني من شعراء المعاني، ولا ينظم الشعر لمجرّد التسلّي بل ليسجّل فكرة أو ليبدع معنى ما، ومما قاله في تلك الفترة ١٣٦٣ هـ و١٣٦٤ هـ (١٩٤٤ - ١٩٤٥ م) ما يلي:

أنا والحبيب

أريه أنّي قد تجنبتُه ولم يعد قلبي في أسره
لكي أرى منزلتي عنده وأعرف المكنون من سرّه
معتقدا أني سأقضي على دلاله الزائد أو كبره
ولا تسل عمّا تكبدتُهُ من ألم الصبر؛ ومن ضره
فيا لسوء الحظ لم يجدني شيئاً سوى أن زاد في هجره
فلتضحكوا من قصتي انني أصبحت كالحائر في أمره

وله:

وكم أفكّر في ذنب أزيل به حب التي تيّمتني لوعة وضنى
فما رأيت قبيحاً من خلائقها إلاّ استحال على حكم الهوى حسنا

وقال مودّعاً صديقه الشاعر حسن بن عبد الرحمن بن عبيد اللّه السقاف عند مغادرته لتعز في شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م):

يا صديقي قل لي متى حازك البين وبلغت من أمانيك شيا؛
أترى أنت ذاكري يوم كنا نشتكي هذه الحياة سويا؟

عبد الله العزب

وقال يرثي القاضي العالم الأديب الشاعر عبد الله بن محسن العزب المتوفى في تعز في ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ هـ/١٩٤٥ م وقد دفن في مقبرة الاجينات بتعز حيث قبر الإمام ابراهيم بن تاج الدين :

هو نجم هوى ، ونصلٌ تحطم ... وبناء من الفخار تهدّم
ويحكم أيها اليمانون ؛ هذا ... كارث في البلاد يُبكى له دم
لا تقولوا فردٌ مضى فلعمري ... إنه ؛ أمةٌ وجيش عرمرم
إنّ نفس العظيم تحمل ما لم ... يتمكّن من حمله العدد الجم
سر إلى الخلد أيّها العالم الفذّ ؛ ودعنا من الأسى في جهنّم
سر إلى حيث ينتهي الخير والشر جميعا ، ويستوي المدح والذم

[إلى آخرهاوانظر الديوان].

وله هذه البديعة أنشدها في حفل عيد الفطر سنة ١٣٦٤ هـ/١٩٤٥ م أمام ولي العهد سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين في تعز :

ما باله في حنايا الصدر نشوان ... في كل يوم له شجو وأشجانُ
قلبٌ سقته الليالي خمرة فصحا ... من حوله كل قلب وهو سكرانُ
لا تطلبوا منه دنيا غير خاطرةٍ ... في باله إنّه بالشعر ملآن
يميد للفنّ إذ يذكي صبابته ... كما تميد لعصف الريح أغصان
والذكريات إذا هاجت به فكما ... تجاوبت في فيافي البيد غربان
يعيش في هامش الأيام ما عرف الدنيا ، وما زال يمشي وهو حيران !
إلا خيالات أوهام يصوّرها ... غير الحقيقة إحساسٌ ووجدان
يا قوم إن حياتي كلها حلمٌ ؛ ... وإنني من عجيب الأمر يقظان
وربما كانت الدنيا بأجمعها ... حلماً سترويه أجيال وأزمان
هو الوجود ؛ ولكن كلّه عدمٌ ... وإن أضعف شيء فيه إنسان

وربّما أن البعض ممن يسيئون الظنّ بشعر «المديح» سوف يغيّرون وجهة نظرهم بعد قراءة هذا النوع والاطلاع على الدوافع والآمال.

والحديث عن ابراهيم بن أحمد الحضراني الشاعر ابن الشاعر ابن الشاعر لن يملّ - بالنسبة إليَّ على الأقل - ولانّه لم يهتم بشعره ولم يهتم به أحد فينشره أو يجمعه في ديوان وهو شعر كثير لأن ابراهيم مثل والده ذو نفس طويل وشاعرية جيّاشة، ما خلا قلبه من حبّ، ولا انصرف عن تأمّل، ولا يستطيع إلاّ أن ينفعل بكلّ ما يقرأه أو يعلمه أو يشاهده، وإلاّ أن يقول شيئاً في ذلك الذي ينفعل به أو له مما يقرأه أو يعلمه أو يراه.. لكل ذلك سأطيل الوقوف مع ابراهيم، وأكثر إيراد الشواهد والأمثلة من شعره لأنه لم يجمع بعد في ديوان وهو موزّع هنا وهناك وصاحبه ليس في حوزته منه إلاّ القليل أو ما يحفظه عن ظهر قلب وهو ولله الحمد يحفظ الكثير منه، ولكن بعضه قد ندّ عنه وشرد؛ وعندما أطلعته على قصائد له بخط يده قالها وكتبها قبل أربعين عاماً قال لي: «أشهد أنك احفظ من في الأرض والله لولا أني رأيتها بخطّي ما صدّقت أنها من شعري»؛ وقبل أن أورد بعض تلك الأشعار سأتعرض لما أومأت إليه من قبل من أن البعض ممن تأثر بالدعوة الظالمة إلى إهمال شعر شعراء اليمن قبل الثورة (١٩٦٢م/١٣٨٢ هـ) لأن معظمه في المديح والرثاء، إذا أوردت بعض تلك الأشعار وعلّلت دوافعها قد يغيّرون نظرتهم إلى ذلك الشعر؛ وسيعرفون أن شعراء تلك الفترة كانوا يغتنمون المناسبات في الأعياد أو غيرها فيمدحون أو يهنّئون الحكام والأمراء بقصائد لا تقتصر على التهنئة والمديح بل يتعرضون فيها لمختلف المواضيع الفنية والتاريخية، والاجتماعية، ويبثون فيها آراءهم ونظرياتهم وأحلامهم وآمالهم وذلك ما هو موجود في قصائد الزبيري (وقد حذفها جامع ديوانه مع أنها أروع ما فيه بيانا وشعرا). وما أوردنا هنا من قصائد ابراهيم فيه الدليل والمثال، فهو يقول من قصيدة طويلة:

يا ويح قلب عميق الحزن ليس له ... من كلّ ما هو فوق الأرض سلوان
لم يهو إلاّ بطولات يشاد بها ... للعلم ركنٌ، وللأخلاق بنيان
أو عبقرية حرّ إن هي اكتنفت ... امراً بدا وعليه لاح إتقانُ

* * *

وجّه فؤادك يدن كلّ مبتعد إن لم يكن لسواه فيه سلطانُ
أولا فنم عن أمور أنت مشتغلٌ بغيرها إن عقبى السعي خسران

* * *

مولاي أجرك عند اللّه مدّخرٌ إذ لا يقوم بما أسديت شكران
تعبت كي ما يذوق العيش ذو سغب طاوٍ، وكي يتردّى الثوب عريان
وهل هنالك مثل الجود منقبةٌ بها يؤمَّل من ذي العرش غفران ؟

* * *

مولاي لامست جرحا طالما غفلت عنه عقول ، وصدت عنه أذهان
فقمت تمنحه الأسعاف من كثب كي ما تهدهدُ آلام وأحزان
فحظه منك عطفٌ غير منقطع أما سواك فإهمال ونسيان
إن لم تكن أنت من يبغي الشفاء له فمن ؟ وهل يُرتجى في القوم إنسان ؟
مولاي إن عيون الجيل قد شخصت إليك ؛ إذ أنت للأسطول ربّان

[إلى آخرها في الديوان] .

وكأني بالشاعر ابراهيم بهذه الأبيات قد أراد أن يُطمئن الأمير بأنّ الشعر وفخامته لم يغيبا عن ساحة الاحتفالات بغياب شاعره الكبير محمد محمود الزبيري الذي كان ينشده في إحدى مناسبات «العيد» منذ بضعة أشهر وقبل أن ينزح إلى عدن قوله :

العرش عرشك لا سواك ولن ترى ندّا إلى آفاق عرشك يرمق
وإذا امترى قوم به قلنا لهم هذي السما ؛ فثبوا إليها وارتقوا
ربّتك أمتك التي ترجو بما صنعته مجداً في يديك يحقّق
فنشأت في أجفانها، وقلوبها تخشى عليك من النسيم وتشفقُ
تأوي بصدر حنانها لم تقتعد في «عابدين» ولا احتواك «خورنق»
أفهل تراها بعد هذا كله ترضى سواك لعرشها يتسلق

وابراهيم الحضراني في طليعة شعراء اليمن الذي زاول هذا الشعر الذي يسمونه جديداً وكنا قد شغفنا به معا كما ذكرت في مقدمة ديواني «لزوميات الشعر الجديد» ومما قاله ابراهيم حينذاك (١٩٤٣ م/١٣٦١ هـ) :

هذه المدوّرة:

ما لقلبي يتضرّم وكياني يتهدّم أيها النفس حنانيك.. اهدئي
أيُّها الآمال.. مَهْ.. لا تعبسي.. وابتسمي
لِمَ لا أحيا كما تحيا الطيور وادعا؟
أتغنّى حين أغدو وأروح لاهيا
لا أبالي همّ أمسي أو غدي،
واجدا في كل شيء متعتي؟
في الهواء الطلق.. في عرف النسيم.. في خرير الماء.. في سحر الأصيل..
لستُ بالمسؤول عن هذا الوجود
أنا فيه ذرة في جبل.. أو حصاة في خضمّ مزبد
إنما جئت لأحيا
بفؤاد كالرّبيع
لا ترى فيه سوى غصن يميس.. وهزار يتغنى.. فيه أو زهر يضوع.

إلى آخرها وانظر الديوان.

* * *

وله وهو معتقل في «نافع» و«قاهرة حجة» أناشيد وطنيّة متداولة وقد بقي في السجن اثر ثورة سنة ١٩٤٨ م/١٣٦٧ هـ حوالى أربع سنوات رثى خلالها بعض شهداء تلك الثورة كالأمير سيف الحق ابراهيم ابن الإمام يحيى.. وإمام الدستور السيد عبد اللّه الوزير والقائد الرئيس جمال جميل العراقي، وله اعتذارات وتضرّعات إلى الإمام أحمد ومدائح وتوسلات إثر خروجه من المعتقل، وله قصائد كثيرة قالها في المؤتمرات الأدبية التي عقدت في «القاهرة» و«الكويت» و«دمشق» و«بغداد» من بعد أن هبت ثورة ١٩٦٢ م/١٣٨٢ هـ حتى العام المنصرم سنة ١٩٨٤م/١٤٠٣هـ. ومن آخر ما سمعته منه عندما زارني في «بروملي» في اكتوبر ١٩٨١ م ذي الحجة سنة ١٤٠١ هـ قوله:

ما زال.. ظلاماً.!

كل فجر مرّ فجر كاذبٌ فمتى الفجر الذي لا يكذب
لم تزل أضواؤه غائرة وعليها من قتامٍ حجب؛
حجبٌ.. لكنها زائلة إنه آت.. فعش يا رجب!
أملي قبل ألاقي أجلي أن أراه ساطعاً يقترب
يمنح الناس يقينا صادقا «هو أنّا في المعالي «عرب»

إلى آخرها أنظر الديوان.

* * *

وهو شعر أنضجته تجارب السنين فعمد إلى الرّمز والتعريض.. ولكن الروح «الابراهيمية» تنبض في حروفه وأبياته؛ وتجمع بينه وبين شعر قاله قبل حوالى أربعين عاماً وأوردت بعضه في هذه الترجمة؛ وأنشدني أبياتاً رائعة عنوانها:

قلب ونبع!

أيها النبع أنت تشبه قلبي حين تعطي ولا تملّ عطاءا

وقال إنّه استوحاها من نبع معينّ في طريق «الحديدة» ـ «صنعاء» كان كثيراً ما يعرّج إليه مع بعض أصدقائه إذا سافر بينهما؛ ولابراهيم أبيات «مفردة» تفرّد بها بين شعراء اليمن ومنها قوله:

أحببت حتى صرت أرثي لمن مات ولم يظفر بأحبابِه

وهي عشرات إن لم تتجاوز مائة بيت. وليست في متناول يدي الآن. وبيني وبينه مراسلات شعراً ونثراً لو جمعت لكانت سفراً كبيراً ومن مختار شعره قوله:

مستهامٌ يعبث الشوق به عبث الموج بأنّات الغريق
قلبه الدّامي وقد حمّله من تباريح الهوى ما لا يطيق
ليس ينفك حزينا موجعا يصحب الأيّام بالجرح العميق
وحّدته في الورى أشجانه فهو في واد من الشجو سحيق

حيث لا موجدة من ناقم تبلغ الشكوى، ولا نجوى صديق
حار في حمل الهوى؛ لا كفّه عافت الكاس ولا جف الرحيق

لا أنقدُ.. بل أعرّف!

قبل أن نفارق شاعرنا ابراهيم الحضراني؛ والاعجاب بألمعيّته ولطفه، وخفّة روحه، ورقّة قلبه، وبلاغة بيانه، قد أخذ ـ ولا شك ـ بألبابنا؛ أودّ أن أذكر بأني منذ استرسلت في كتابة هذه السلسلة من التعريفات والتراجم قد تلقّيت عدّة رسائل في بعضها الثناء العطر والاستزادة والتشجيع؛ ولهؤلاء شكري الجزيل، والبعض يطلب أن أكتب صفحتين في الأسبوع أو مرّتين أو أكثر محسنين الظن بقدرتي، وبسعة صدر جريدة «الشرق الأوسط» ولهؤلاء أيضاً شكري؛ وأما البعض فقد اعترض وزعم أني قد حشرتُ بين الشعراء من لا يجوز أن نطلق عليهم لقب «الشاعر» لأنهم لا يجيدون إلّا تقطيع الكلام، وتفاعيل العروض، ورصف القوافي، وقد استشهد أحدهم بقول «شوقي»:

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة أو حكمة فهو تقطيعٌ وأوزان

ويقول البعض: «حتى ولو وجدت بضعة أبيات لعالم أو فقيه، ثم لم يتعبّد للشعر ويمارسه ويُكثر منه، فلا يجوز أن نحشره في زمرة الشعراء»!

وأما آخرون فقد تطاولوا وقالوا: «لقد مات عهد هذا النوع من الشعر ونحن الآن في عصر «الشعر الحر»، وقد تحطّمت أغلال الأوزان والقوافي، وذهبت إلى غير رجعة، ودخلنا في عهد قصيدة النثر، أو القصيدة الجديدة، فلماذا العناية بالموميات، وبعثها ومحاولة إحيائها!؟

ومع تقديري لوجهة نظر البعض واعترافي بصدق ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي؛ وان أعذب الشعر ما نمَّ عن وجدان دخيل، ومشاعر ذاتية، وذكرى وعاطفة، إلّا أنّ عليهم أن يقدّروا أني لا أجمع مختارات شعرية فأتحرّى انتقاء الأجود والأروع؛ ولستُ في سبيل النقد ولا قصدتُهُ بهذه التراجم والتعريفات، فأزيّف الفاسد، وأفنّد الركيك، بل وأتحاشى إيراده؛ وقد أردت أن أعرّف

بشخصيّات يمنيّة وقفتُ على أسمائهم في أثناء قراءاتي لكتب الأدب والتاريخ التي لا يزال معظمها في الخزائن الخاصة، أو لم يطّلع عليها المهتمون بآداب العرب وقد ذكرت تلك الكتب أن هؤلاء الأشخاص قد قالوا أو كتبوا شعراً بالمفهوم والمصطلح الذي وضعوه حداً جامعاً مانعاً لكلمة «الشعر» وهو: «الكلام الموزون المقفّى» في أي موضوع كان؛ لأنهم إنما أرادوا التمييز بين أنواع الكلام.

ولا يهّمني بعد ذلك أن يكون قائله مكثراً أو مقلاً، محسناً أو مسيئاً، ضاع شعره وفقد، أو حفظ ونشر، أهمله النّاس، أو تناقلته الألسن، إلاّ بمقدار اهتمام من يعرّف بقائليه، ويذكر ما قرأه أو عمله من أخبارهم.

ونحن نعلم أن الكثير من أشعارنا قد ضاع بالكوارث والفتن، وأن الكثير منها أيضاً لا يزال موءوداً، وأنّ شعراء كثيرين لأسباب سياسية أو اجتماعية أو في حالات نفسيّة معيّنة قد كتموا أشعارهم، وآخرين قد أبادوها أو أحرقوها، ومنهم من نَسَبَها إلى غيره، ومنهم من كان يبيعها مقابل جُعل حقير تافهٍ يداري به ضرورة عَوَزِهِ؛ وأنوي أن اسجّل كل ذلك أو بعضه وهل سأكشف سرّاً إذا قلت: إن قصائد كثيرة قد أنشأها شاعرنا ابراهيم الحضراني وفيها الذكرى وفيها العاطفة، والمدح والهجاء والرثاء، ووهبها أو باعها لأفاضل بعضهم قد لحق بربّه وبعضهم ما يزالون على قيد الحياة ويدّعون أن تلك القصائد من بنات قرائحهم!؟

هذا بالنسبة إلى الجودة والركاكة واعتراض القائل بأنّي لا أنتقي الأحسن، ولا أختار الأروع، أو أنّني قد أنقل ما لا يستحق العناية أو الرواية فنيّا؛ وعذري ـ أولاً ـ أن ما قمت به من تنقيب وبحث وراء النصوص لمن اترجم لهم هو غاية جهدي، وأعرض البضـــاعة التي وجدتها، ولا أهمل الحسن والجيّد، بل أفضّل نشره وعرضه لو وجدته..!

وثانياً: ـ وهو الأهمّ ـ أن الشعراء يتفاوتون طبقات ومراتب، ولا يصحّ تأدُّباً وتاريخياً أن نستبعد من يحكم الوزن ولو في ركة تعبير عنهم، ولا يجوز أن ننفي الضعيف منهم عن زمرتهم، وقد أدرك العرب ذلك فسمّوا الشاعر المفلق «خنذيذاً»، . . والخنذيذ هو الشاعر الفحل المجيد البليغ العالم بأيّام العرب وأشعارهم

ومن دونه قدرة وبيانا سموه «الشاعر» فـقط. . ثم «الشويعـر»، ثم «الشعرور» والشعراء «الخناذيذ» المتفوقون الذين يحسنون أكثر ما يسيئون قلّة، ولا يتوافدون على دنيا الأدب إلاّ في دورات تاريخيّـة متباعـدة الفترات؛ ولعلّ عشرة فقط ضمن الخمسين الذين أعرّف بهم ممّن اسمه «ابـراهيم» من شعراء اليمن هم الـذين يستحقون لقب «الشاعر» لأنهم قد تعبّدوا للشعر وأجادوا صنعته، وكان انتاجهم فيه ثراً غزيراً قويّاً. . يعجب ويطرب ويُروى ويتناقله الناس كما تناقلوه قديماً لأبي فراس والشريف الرضي، وحديثاً للبارودي وعلي محمود طه؛ وأما «الخناذيذ» فأقلّ من عشرة. ولا شك أن «البراهمة»؛ «اليافعي»، و«الهندي» و«الحضراني» أقواهم وأجودهم وأغزرهم شاعـرية في تاريخ الأدب اليمني بعد القـرن الحادي عشر الهجري.

ثم إن أشعار الناس تتفاوت وتختلف جمالاً وقبحاً، وجودة ورداءة، كـما تختلف وتتفاوت أذواقهم؛ ومع ذلـك فهناك حـدود ومقاييس ومعـايير للجـمال والجودة، والإحسان والسوء، والخير والشر، ويلتقي عندها جميع عقلاء البشر؛ لأنّ العقل الخالص واحد ومن المعقول أن نختلف في تقدير من هو، أو ما هو الأفضل والأحسن، والأكثر جمالاً والأقرب إلى الخير والتقوى، أو عكس ذلـك كلّه. ولكن ليس من المعقول أن نسمّي القبح حسنـاً، والظلم عـدلاً، والشر خيراً، والفوضى نظاماً، و«النثر» ـ حتى ولو كان فنيّا ـ «شعراً» وهنا أصلُ إلى حوار «المتطاولين».

الشعر العربي ومميزاته:

وأمّا «المتطاولون» الذين زعموا أنّ عهد هذا النوع من الشعر الذي أعرّف ببعض قائليه قد مات؛ وأننا نعيش في عصر «القصيدة الجديدة» أو «الشعر الحر» المتمرد على الأوزان والقوافي، فلن أجادلهم في قيمة ما يزعمونه جديداً؛ وأحيلهم موقتا على ما كتبه ويكتبه حالياً الأستاذ علي العمير في مجلّة «المجلة» عن «الشعر الحر»؛ ولأني قد أعود إلى «الموضـوع» عندمـا أتحدث عن الشـاعرين اليمنيـين

المعاصرين ابراهيم صادق، وابراهيم اسحاق إن شاء اللّه؛ غير أني لا بد أن أقول كلمة قصيرة عن «الشعر العربي» وخصائصه المميزة له عن غيره بل وعن الفرق بين كلمتي «نثر» و«شعر» في تاريخ آداب الأمم ولغاتها.

العربي الأصيل شديد الحرص على تحديد ما يريد أن يسمّيه أو الإعراب عنه، أو تبيين ماهيّته، وإيضاح حقيقته، والافصاح عن كنهه كما عملوا عندما حدّدوا مراتب الشاعر وألقابه إتقاناً وجودة، أو ضعفاً وركاكة.. ولذلك تعدّدت الألفاظ والمترادفات والمسمّيات في اللغة العربيّة ومن لم يفهمها على هذا ـ وهو من الدقّة والخفاء بمكان ـ فهو لا يفهم سرّ اللغة العربية وعليه أن لا يجشم نفسه معرفة لماذا تعدّدت اسماء الناقة والجمل والسيف والأسد، والحب ومراحله، والكره ودوافعه، والشباب والشيخوخة، والصحة والمرض، وفي صفات شتّى لما قد يظنّه لمدلول أو مسمى أو معنى أو شيء واحد، دون أن يعرف أن لكلّ لفظة وصفةٍ معنى قائماً بذاته تدلّ عليه ومن أراد التأكد فليراجع «فقه اللغة» للثعالبي.

ولأن العربي الأصيل شديد الحرص على وضع الحدود والصفات الجامعة المانعة لكل ما يسمّيه؛ أطلق لفظة الشعر على «منظوم القول» لشرفه بالنغمة والوزن والقافية؛ وجاء علماء الشعر فوضعوا له حدّاً يفرّق بينه وبين «النثر» فقالوا «الشعر: هو الكلام الموزون المقفّى»؛ وإذاً فالكلام طبعاً وذوقاً وفنّاً وعلماً لا يسمّى عند «العربي» شعراً إلّا إذا كان موزوناً مقفّى سواء أكان جيّداً أو رديئاً شريفاً أو خسيساً، تقبله الطباع وترتاح إليه النفوس أو تنكره وتنفر منه وتستهجنه؛ وما ليس بموزون ولا مقفى من القول يسمّيه العربي «نثراً» سواء أكان خطابة أو مقالة أو مقامة، مرسلاً أو مسجوعاً بليغاً فصيحاً رائقاً، أو رذلاً ممقوتاً.

وللقافية عند العرب أهمية كبيرة، وكثيراً ما يُبنَى البيت عليها، فإذا كانت متمكّنة برز البيت فخماً رائعاً تتلقّفه الأسماع بتوق، أما إذا كانت قلقة فإن البيت يبدو مضطرباً، وتنفر منه الطباع، وقد كان العرب ـ ولا يزالون ـ يُطلقون أحياناً على القصيدة «القافية» وعليه قالت الخنساء:

وقافية مثل حدّ السنان تبقى، ويذهب من قالها

وأما استقامة الوزن، واشتراط التفعيلة الموسيقية في الشعر؛ فلا يسمى الكلام والقول عند العرب شعراً بغيره كما أسلفنا، وقد تساهل البعض في «القوافي» وأجازوا تعدّدها أما في «الوزن» فلا؛ وقد قال الجاحظ: «العروض ميزانُ الشعر ومعياره وعليه مدار القريض» وقال علي بن عبد الرحمن: «العروض علم يُدرك به معرفة ما تعتقده العرب من كلامهم شعراً»، وهذا هو القول الفصل فليُسَمّ أصحاب «الشعر الحر» الذي لا يتقيد بنغم تفعيلي، ووزن موسيقي، ما شاءوا إلاّ شعراً عربياً.

ولا أريد أن أطيل مناقشة أولئك الذين لولا «العجز» و«العجمة» ما تصدوا لمحاربة «القوافي» و«الأوزان» لأن «العجز» و«العجمة» أيضاً سيجعلانهم لا يفهمون كلامي ؛ وكيف وقد عجزوا أن يفهموا أن الفرق بين كلمتي «الشعر» و«النثر» مثل الفرق بين لفظتي «الرقص» و«المشي» و«الغناء» و«الحديث» و«النغم» و«الكلام» و«الزفة» و«الدبكة» و«العرضة» . . وسائر أنواع «الاحتشاد» ! ثم ألم يفكّروا ويعرفوا أن الأطوار الزمنية التي مرت على اللغة العربيّة وآدابها ظلت تصفّيها وتصقلها ، وتهذبها حتى كان لنا منها «شعر» ونثر فنّي ولكلٍّ حدٌّ جامع مانع ؟؟ ألم يعقلوا أن هذا القول اللّطيف الراقص «الموزون المقفّى» ما وصل إلى هذه المرحلة إلا بعد تطور لغوي وأدبي ولساني وفكري ربما استمرّ مئات بل آلاف السنين ؟ لو عقلوا ذلك ـ وطبعاً لن يعقلوه ـ عجزا وعجمة ـ لعرفوا أن الدعوة باسم «التجديد» إلى التمرد على «الأوزان» و«الموسيقى» و«التفعيلة» و«القافية» في الشعر العربي دعوة فوضوية رجعية بدائية حجرية «دينصورية» في تاريخ آداب العرب .

عودة إلى ابراهيم الحضراني:

ولا نستطيع أن نودّع شاعرنا ابراهيم الحضراني دون أن نذكر بأنّه من أبلغ الشعراء بكاءً على أصدقائه، وأنّ مراثيه من شعر الطبقة العليا جودة وبياناً تلمس فيها صدق اللّوعة ووجعها، ويخيل إليّ أن سبب ذلك يعود إلى إخلاص وفائه، ولا سيما لذكرى ما فات ومضى وتصرّم من الأحداث والأصدقاء، فهو كثير الحنين إلى

الماضي حتى ولو كان متعبا؛ كما قال أبو الطيب:

خلقتُ ألوفاً ؛ لو رجعت إلى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

وهو إلى ذلك يعترف بالجميل ويقدر أهله، وليس من السهل عليه أن يخسر صديقاً حتى ولو كان قد أساء إليه.

ومن آخر ما بعث به إليّ من شعره عندما كان في «برلين» للعلاج في أواخر عام ١٩٨٢ م/١٤٠٢ هـ ثلاث قصائد الأولى عنوانها : «جيل التحدّي» يرثي بها صديق الجميع الشاعر عبد اللّه عبد الوهاب نعمان وهي :

كادت شموس الجيل أن تغربا وأوشك الينبوع أن ينضبا
جيل، تحدّى الهول مستبسلا وصيّر الحقّ له مطلبا
فهل درى الموت وقد غالهم أيّ سيوف فلّ منها الشبا؟

* * *

ومنها:

أخي «أبا مروان» صفحاً إذا كان يراعي في رثائي كبا
أنت مقيمٌ بيننا لم تمتْ والنور في مشكاته ما خبا
تصغي لك الخضراء؛«سيوونها» «حوطتها» «صنعاؤها» «كوكبا»
وحّدت بالفرحة ما بينها ووحدة الفرحة لن تُغلبا!
واجتمعت؛ فلْندع لا فرّق الأعداء بعد اليوم أيدي «سبا»

وهو في المقطع الأخير يشير إلى شعر «نعمان» الغنائي الذي وحّد اليمنيّين في الشمال والجنوب على الاعجاب، ثم ذكر «المدن» المشهورة بالفن والغناء تاريخيّاً، ومنها «كوكبان» التي لجأ فيها إلى «الاكتفاء» البياني؛ ثم وضع «أيدي سبا» في مكان لو لم يكن «خنذيذاً» ما قدر عليه؛ فقل لمن يحاربون الوزن والقافية: هل كان سيتمكن من هذا النحت الرائع بلا وزن ولا قافية؟

بكاء الشعراء على الشعراء

ومرثاة ابراهيم الحضراني لصديقه الشاعر المِفَنّ عبد اللّه عبد الوهاب نعمان تذكرني بمرثاته لصديق الجميع الشاعر الحفّاظة عبد اللّه حمران والتي مطلعها:

أنا ميتٌ فمن يقول رثائي؟ بعدما غيّب الردى أصدقائي!
كيف أرثيهم بشعري وإنّي لجدير من بعدهم بالرثاء؟
مثخنٌ كلما رمى الدهر سهماً وهوى واحدٌ؛ تسيل دمائي

وليس في متناول يدي منها غير هذه الأبيات، ولا شك أن ابراهيم قد استوحى المطلع من مرثاة أحمد شوقي لصديقه الشاعر حافظ ابراهيم والتي مطلعها:

قد كنت أوثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء

وفي تاريخ الشعر العربي عبر العصور من نوح الشعراء على الشعراء مراث تؤلّف ديواناً في عدّة أسفار لا نظير له عند سائر الأمم، وهو جدير بأن يجمع على حدة، ويُدْرس ويُدَرّس كفنّ مستقل من فنون الثقافة الإنسانية؛ ولو وجدتُ فسحة من العمر والوقت لألّفت فيه دراسة ربما كانت مفيدة وممتعة؛ ولقد وجد بين الشعراء من يطلب من زميله الشاعر أن يرثيه وينوح عليه شعراً إذا مات، وقد أشار إلى ذلك بشارة الخوري في مرثاته لأمير الشعراء أحمد شوقي فقال:

سألتنيه رثاءً؛ خذه من كبدي لا يؤخذ الشيء إلا من مصادره

وقد جمعتُ من ذلك فرائد ونوادر، وبلغ الظرف بشاعرين يمنيّين أن يطلب كلٌ منهما من الآخر أن يرثيه قبل أن يموت وأن يسمعه ما سيقول فيه وسنورد ذلك في مكانه؛ ولعلّ شيئاً من هذا القبيل قد خطر في بال ابراهيم الحضراني حين قال:

أنـا ميت فمن يقـول رثـائي بعدما غيّب الردى أصدقـائي

ولابراهيم الحضراني مرثاة رائعة في الشاعر محمود حسن اسماعيل وأخرى في الشاعر صالح جودت .

الحرية :

أما القصيدة الثانية مما نظمه إبراهيم وبعث به إليّ في الفترة الأخيرة فقد سماها : «قصتي مع الحسناء» وأخبرني أنه يعني بالحسناء «الحرية» وهي :

عـذلـوني في محبّتـهـا وهـواهـا وحـده قـدري ؛
من أنـا حتى أعـانـدهـا ؛ وهي في سمعي وفي بصري؟
حمّـلتـني مـا تـنوء بـه ـ في هـواها ـ طـاقةُ البشر
واليكم قصتي معها بعض ما يروى من الخبر
لست أنساها وقد بسمت كابتسام الروض بالزهر
ثـم قـالـت غـير آبهـةٍ بي ؛ بما حولي من الأطـر :
إن هـذي الـدّار ضيّقـةٌ ضيقها يفضي إلى الضرر!

إلى آخرها وأنظر الديوان رقم : ٤٥

حافظ وشوقي :

وعندما احتفلت مصر بمرور خمسين عاماً على وفاة الشاعرين شوقي وحافظ انتدبت اليمن إلى القاهرة الشاعر ابراهيم الحضراني والشاعر عبد اللّه البردّوني . وقد حدَّثني ابراهيم مستغرباً كيف اكتسب «البردّوني» اعجاب النّاس بقصيدته التي ألقاها في المهرجان مع أنّها لم تُقَل في المناسبة ذاتها، بل هي من شعره الذي نشره في ديوانه «وجوه دخانية» الذي طبع في الكويت سنة ١٩٧٧ م وعنوانه «سندباد يمني في مقعد التحقيق» ومطلعها :

كما شئت فتّش . . أين أخفي حقائبي أتسألني من أنت؟ أعرف واجبي

وهي من النظم التقريري كأن الشاعر يروي به خبراً في صحيفة أو يسجّل محضر جلسة تحقيق بطريقة نظّامي «المتون» الفقهية والنحوية مثل قوله :

نعم؛ أين كنت الأمس ؟ كنت بمرقدي — وجمجمتي في السجن، في السوق شاربي
رحلت إذن ؛ فيما الرحيل ؟ أظنه — حديداً ، أنا فيه ، طريقي وصاحبي
إلى أين ؟ من شعب لثان بداخلي — متى سوف آتي ! حين تمضي رغائبي
تحديث بالأمس الحكومة مجرمٌ — رهنت لدى الخبّاز أمس جواربي !
وماذا عن الثوار ؟ حتما عرفتهم ! — نعم حاسبوا عني ، تغدّوا بجانبي
وماذا تحدثتم ؟ طلبتُ سجارة — أظن وكبريتا ؛ بدوا من أقاربي
شكونا غلاء الخبز . . قلنا ستنجلي — ذكرنا قليلا . . موت «سعدان ماربي»

إلى آخر «الحزوية» . . وكأن موضوعها ـ لافساد الذوق الشعري ـ هو الذي كسب إعجاب الجمهور، أو أنّه صوتُ الشاعر الجهير وطريقة إنشاده، وهالة مظهره، مع أن قصيدة ابراهيم ألفاظها فصيحة، وتراكيب كلماتها منسجمة ومعانيها بديعة، وقوافيها محكمة كما قال ابن عنّين في وصف شعر جيّد:

معنىً بديع، وألفاظ منقحةٌ — غريبةٌ، وقوافٍ كلّها نخب!

وقد حدثني ابراهيم أن الدكتور ناصر الدين الأسد وهو الناقد المدره قال له ـ ولكن هامساً ـ «لقد كانت قصيدتك رائعة»! أما الإعجاب والتصفيق الهادر فقد كان للبردّوني وقصيدته! ومن قصيدة ابراهيم قوله يعني الشاعرين شوقي وحافظ :

حرسا الروض وهو ريّان حالم — واعدات زهوره والبراعم
حرساه ؛ جذوره تضرب الأرض وأغصانه اللّدان النواعم
نبضُ قلبيهما حنين لماضٍ مشرق ؛ وانتظار خير قادم
سألاني : هل أخلف الروض أم كان له موسمٌ كأغلى المواسم !
لم أجب ؛ بل صمت حين تولّى الردّ من مقلتي دمعٌ ساجم

إلى آخرها .

مسك الختام :

أما آخر ما سأختتم به حديثي عن الشاعر ابراهيم الحضراني فقصيدته

«درويش» التي أنشدها في مهرجان الشعر بتونس سنة ١٩٧٣ م/١٣٩٢ هـ وهي من الشعر الذي لا يعلّق عليه، بل يُتلى في إعجاب وخشوع:

لو دوى المصنع لم يهدر فمي بالكلمات
أو جرى النهر.. لما أجريت فيض العبرات
ولما مزّقت بالأظفار أحشائي ولا باللكمات!
دونك الآهات فاسمعها؛ وخذ منها، وهات

* * *

بين جنبيّ عنودٌ مثخن الحسِّ طعينُه
الجوى اللافح والآهات والشعر أنينُه
هدهدوه بالرؤى تغمض على الشجو جفونه
كل قولٍ جهوريّ الصوت.. يسليه؛ يعينُه

ومنها:

مرّ يومي معرضاً عنّي بتيهٍ وبكبرِ
وعن الأمس؛ أنا ثرت على الأمس بشعري
من أنا؟ أين أنا؟ أين مكاني؟ لست أدري!
أنا درويشك يا ربّ، وما غيرك ذخري
وكفاني؛ أنني أصبحتُ لا أجهل قدري؛

* * *

ويحه.. لم يستجب رأسي؛ ولم تسعف يدي
أتراه الدّاء؟ - يا للهول - داء الأبد!
لا تقولوا: قد سرت رعشته في ولدي
ودعوني أزرع الآمال في دنيا الغد

لا..لا.. يا إبراهيم.. إنه ليس الدّاء.. إنّه بدء الشفاء، وستموت الرعشة.. ولن تسري.. فانهض.. وازرع ما شئت من الآمال في دنيا اليوم والغد.. وستجنيها ويجنيها الكون خيراً وسلاماً وبركة واطمئنانا.. إن شاء اللّه.

ترجمة هلال ناجي :

ولقد ترجم شاعرُنا الأستاذ الأديب الشاعر هلال ناجي للحضراني في كتابه «شعراء اليمن المعاصرون» ونقل نماذج من أشعاره ومما قاله فيه : «إن مسحة الحزن التي رانت على شعر الحضراني العاطفي قد صبغت شعره الكفاحي ببعض أطيافها على اختلافٍ في الأسباب؛ فهي في الأولى بسبب من جفاء المحبوبة ، وهي في الثانية بسبب من المآسي التي أناخت ببحرانها على اليمن طوال ربع قرن وزيادة، وان هذا الأسى المعتم الذي ضرب بجذوره في أعماق شعر الحضراني قد ولد في بعض الفترات الحالكة يأساً عميقاً طفح به قلب الشاعر كما تطفح الكأس إذ تمتلىء، وكما تطغى الأنهر إذ تفيض، فحياته قطعة من سقر، وهو يتمنى الموت ان كان غده مشبهاً يومه وأمسه» [ص : ٦٣] واستشهد بالأبيات التي مطلعها :

ففي أمـة منكوبـة كان مولـدي إليها نفى اللّه الشقا والثوانيـا

انظرها في الديوان .

الحضراني الرومانسي :

أما الدكتور الشاعر عبد العزيز المقالح فقد تحدث عن الحضراني في فصل «التطور الفني من خلال التناول الرومانسي» من كتابه «الشعر المعاصر في اليمن» فقال :

«وإذا كانت الرومانسية قد جعلت أحمد الشامي يشعل الدنيا بالأنات والزفرات، ويغرقها بمآسيه ـ وهو في حالة حب ـ وجعلت أخاه عبد الوهاب يستنجد بالموت ويرغب في هلاك البشر ومنع التناسل، فانها ـ أي الرومانسية ـ قد حملت زميلها ابراهيم الحضراني ـ وهو في حالة حب أيضاً ـ حملته بعيداً عن الناس إلى دنيا من الحرمان، بين عالم من الأشجان يعيش فيها وحده مع الحب والرومانسية :

يا من أذاب فؤادي في هواه وما منيت إلاّ بإبعاد وحرمان
حتى ذوى زهر أمالي، وأعقب لي بين الجوانح آلامي وأحزاني

أهذه هي أيام الصبا وإلى رجوعها يتنزّى العاجز الفاني ؟
ماذا ؟ سوى أنّةٍ حرّى يكابدها قلبٌ يذوب وجفن دمعه قانِ
هذا هو الحب لا ينفك يخلق لي «عوالماً» ذات أشكال وألوان
دنيا وعالم أشجان أعيش به وحدي وللناس حولي عالم ثاني

وبالرغم من أن الحضراني الشاعر يؤكد هنا ـ انه يعيش في عالمه الرومانسي وحيداً إلاّ في حرمانه وأشجانه ـ فإنه كان في واقع الحياة يعيش مع زميله أحمد الشامي حياتهما المتشابهة المتماثلة، فهما ـ بحق ـ شاعران متشابهان في الشعر، وفي مدى التأثر بالجديد وفي بعض ظروف حياتهما أيضاً .

وفي القصيدة التالية اجتمع هذان الشاعران في خلوة رومانسية للبحث عن صديق لهما غائب، ولا أتردد في القول بأن هذه القصيدة الثنائية قد شارك في نظمها شاعر ثالث غير منظور هو الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي، فقد كان الشامي في تلك الفترة شديد الافتتان بشعره، أما الحضراني فقد كان ـ وما زال للآن ـ واقعا تحت تأثيره، وما زال قاموسه الشعري يشبه ـ إلى حد ما ـ القاموس الشعري لذلك الشاعر الرومانسي الكبير.

والقصيدة الثنائية أو الثلاثية بعنوان « زنبقة في فلاة » وأسارع إلى وضع خط تحت العنوان تأكيداً على رومانسيته، ثم امضي مع القصيدة لا للبحث عن الصديق الضائع في الفلاة بل عن الشاعرين نفسيهما، أين يكون الحضراني؟ وأين يكون الشامي؟ :

تلفت الشعر إلى الشاعر يسأل عنه أين ولى وطار
وأين رب النغم الساحر أين هزاري يا ترى أين طار؟

* * *

وأي روض فاتن زاهر في ساحه بات يناجي مناه
يحمل عبء القدر القاهر ظمآن يشكو لليالي صداه

* * *

أظنه اليوم يغني وحيد يشدو فيرتد إليه غناه
لا سامع من حوله يستعيد كأنه زنبقة في فلاه

* * *

يبيت في الليل يناجي النجوم فينصت الليل ويصغي القمر
وتارة يطغى عليه الوجوم فيفرغ الكأس ويلقي الوتر

* * *

عد أيها الشاعر عد إنّنا في جنة الشعر وازهى رباه
نعبث بالدهر ونزجي المنى ما أعجب الشعر وأحلى مناه

حقا ما أعجب الشعر!! وما أعجب الشعراء ـ والرومانسيين منهم خاصة ـ إنهم يقيمون قصوراً من الرمال، ويحلقون ـ كما قال الحضراني ـ في عوالم ذات أشكال وألوان، وهي ـ برغم جمالها الشعري ـ عوالم من صنع الخيال لا علاقة لها في أحيان كثيرة بعوالم الناس وواقعهم .

وقد قال الدكتور المقالح إن ابراهيم ولد في حضران عام ١٩١٨ م ولعلّه أقرب إلى الواقع من قولي إنه ولد عام ١٩٢١ م/ ١٣٣٩ هـ؛ فيكون في عامنا هذا ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩ م قد جاوز السبعين أطال اللّه عمره.

وقد وهم الدكتور حين قال إننا بعثنا بهذه القصيدة إلى الشاعر الزبيري بعد فراره إلى عدن؛ وإنما ذهب إلى «ماوية» لتحصيل وجباية الزكاة من الفلاحين بأمر الإمام أحمد ولي العهد حينذاك.

[انظر الشعر المعاصر في اليمن ص ١١٢ ـ ١١٣ وكتابنا «مع الشعر المعاصر في اليمن» ص: ١٥٥] .

مع البردّوني في رحلته:

أمّا الشاعر عبد اللّه البردّوني فقد تحدّث في رحلته في الشعر اليمني عن

الحضراني فقال:

ابراهيم الحضراني بدأ شعره في ذمار بالهجاء، وكان لسان أهل السنة يناضل الشيعة وهو يمثل الصراع بين المذهبين :

أإرعاد بلا غيث نراه ضجيج فارغ سموه صوله
سحاب خلب لا غيث فيه كعلم يدعيه (حمود دوله)

وكان هذا الشعر محدود الانتشار لا يتجاوز الأصدقاء من رجال السنة، وقال في صالح الجمالي وهو من رؤساء الشيعة بذمار ومن رواة الشعر الشيعي :

عجباً لمن سموك يا شيخ الفساد الجم (صالح)
غلطوا وإلا أنت في أبواب أهل العلم سالح

ولما انتقل الحضراني إلى تعز أصبح شاعراً مادحاً ومتفكها وقد اشتهر له في ذلك الحين قوله في ضحية العيد:

يا ليت لي كبشاً أضحي به أركبه إن جئت في الآخره
لا تعجبوا مني ولا تسخروا فربما جئت على طائره

وقد أفضت به السخرية والهجائية إلى النضال الوطني حيث يكرم الحقد ويشرف العدا :

أيها القائم بالأمر الذي يرضى الكتابا
فاز من شب على ما ينفع الشعب وشابا
وتحدى في طريق المجد أرزاءً صعابا

ثم مدح ورثى في أصالة وتقليد قليل. كقوله في يحيى الأرياني:

هو نجم هوى وركن تحطم وبناءٌ من المعالي تهدم

وعندما نزل ضيفاً على سجن حجة كان هو الشاعر الوحيد الذي لم تذهله الصدمة عن الشعر، فرثى الأحرار بقصيدة ميمية :

حتام يا وطني أراك تضام وعلى أديمك تعبد الأصنام

واختص (عبد الله محمد الوزير) بميمية من نفس الوزن والقافية:

عليك وإلا فالبكاء حرام وفيك وإلا فالرثاء أثام

وقد نبهت هاتان القصيدتان نوائم الأقلام فصدق على شعراء حجة قول الجاحظ في الهزار:

(إن غناءه يعذب عندما يكون في القفص).

فقد تحول سجن حجة إلى مدرسة شعر، تبارت فيها القرائح حتى أدت إلى اختلاف الرأي، وذهاب المودة أحياناً، مع أن اختلاف الرأي لا يذهب للود قضية كما قال شوقي وهو موضع إعجابهم جميعاً.

إلا أن هذا الاختلاف والمكاره، لم يمنع من الاستمرار في الشعر كل على طريقته، فقد استمر (ابراهيم الحضراني) وكان بعيداً عن الخلافات في الشعر بمختلف بواعثه، فهو في السجن يغني غناء الطليق:

وحبيب منيتي في يده ليته ينفق مما في يديه

كلما أملت من دنيا الهوى فرحة أومأت الدنيا إليه

وقد حدث عن نفسه أنه تأثر بابراهيم ناجي أشد تأثر وبالأخص في نجواه:

وحبيب كان دنيا أملي حبه المحراب والكعبة بيته

إن سقى يوماً بكأس ظامئاً فأنا من كأس عمري قد سقيته

أو مشى يوماً على ورد له فطريقي كان شوكاً ومشيته

فقد كان الحضراني كثير الترديد لهذه الأبيات لابراهيم ناجي، كما كان سجناء حجة يكثرون من ترديد شعر الحضراني ويتمثلون به إلى حد أن بيتين من شعره كانا يهونان على الأحرار ملاقاة السياف، فقد كان كل حر يلاقي مصرعه بقول الحضراني:

كم تعذبت في سبيل بلادي وتعرضت للمنون مرارا

وأنا اليوم في سبيل بلادي أبذل الروح راضياً مختارا

فقد شجع الحضراني على الاستشهاد الكثير من نفثاته ولعل أجود شعره في حجة :

حنـانيك يا سيف المنية فارجع ... ويا ظلة الموت الزؤام تقشعي
ووالله ما خفت المنايا وهذه ... طلائعها مني بمرأى ومسمع
ولكن حقاً في فؤادي لأمتي ... أخاف إذا ما مت من موته معي

فهذا الشعر العميق المتدفق يدل على شاعر تكاملت له وسائل الفن وخصائص الفكر لولا القسم في أول البيت الثاني، فمن بيت إلى بيت تتجلى له نظريات فلسفية تفوق بها على مدرسته، وعلى المدارس التي سبقتها، لأن تأملاته كانت تواكب أخيلته فتمتزج النظريات بحلاوة الفن وينتج عن هذا شعر تعليمي فني يثير بالايقاع ويفيد بالأفكار، وله مقطوعات فكرية متكاملة الفن بعيدة النظر من أمثال قوله :

هم الناس لا يحفظون الجميل ... ولا يشكرون لمسدٍ يدا
فكن في قلوبهمُ رهبة ... لكي ما تكون لهم سيّدا
ولا تبن أمراً على حبهم ... فيذهب جهدك فيهم سدى
هم الناس ما عبدوا في القديم ... عظيم النوال كثير الجدى
ولكنهم عبدوا المفزعات ... وباتوا لرهبتها سجدا

مهما كانت هذه النظريات قديمة تعميمية وقاسية فقد أجاد ابراهيم الحضراني صياغتها ومنطقيتها وليس من جديد الأدب في الموضوع ، وإنما الجديد في الصياغة ، فقد بليت غراميات (مجنون ليلى) في رماد العصور ، وأضاءت من جديد تحت أنامل (شوقي) ، وقد بليت ليالي (شهرزاد) في ألف ليلة وليلة وأضاءت تحت قلم (توفيق الحكيم) (وطه حسين) .

وقد سبق (المتنبي) إلى نظرية (الحضراني) فقال:

ومن عرف الأيام معرفتي بها ... وبالناس روى رمحه غير راحم

وقال:

إذا ما الناس جرّبهم لبيب فإني قد أكلتهم وذاقا
فلم أر عهدهم إلا خداعا ولم أر دينهم إلا نفاقا

وقد جدد الحضراني النظرية. وقدم الدليل عليها، بعبادتهم الأشباح والبروق والصخور والهياكل بينما (المتنبي) يكتفي باللمحة الدالة، فمهما سبق الحضراني إلى هذه النظرية فقد جدد بلاها، وأقام الدليل، فالحضراني شاعر من كل الوجوه أصالة وفكرة وتعبيراً، والدليل على أصالته أنه لم يتخل عن الشعر على حين سكت الكثير من زملائه، فعندما أطلق من حجة تابع سيره في قصائد قصيرة ومقطوعات، إلا أنه على عمق أصالته محدود الشوط، وكل فترة من فترات عمره أنبتت شعراً جديداً . قبل العام ١٩٤٨ م كان وطنياً ومادحاً وساخراً ، وفي حجة كان باكياً ومبكياً ومتفلسفاً وشاعراً ، وبعد حجة ركد قليلاً لتورق شاعريته من جديد ، بتأثير ظروف الزمان والمكان ، فعندما نزل القاهرة أثر فيه الزمان والمكان فقال شعراً لا يشبه شعره الأول إلا في النفس والمعجم اللغوي :

يا ابنة النيل وأم العرب أنا في ساحك لم اغترب
هذه الروعة مهما عظمت لست عنها ببعيد النسب
هي مني وأنا منها أنا فكلانا عربي عربي

وعندما نزل (روما) مد تجربة (المتنبي) في (شعب بوان) فهو فيها غريب الوجه واليد واللسان كفيف السمع وإن كان طليق البصر فلننصت إليه:

تتساءل الجدران بي وأنا بساحتها أطوف
من ذلك الوجه الغريب وذلك الشبح النحيف
يمشي فتمشي حول هيكله من الماضي طيوف
الذعر في نظراته والرعب والقلق المخيف
يا مهبط الرومان هذا ما جنى الزمن العجيف
من عهد (حمير) لا يزال يروعنا أو عهد (خرفو)
والجرح جرح المستبد له باكبدنا نزيف
أمشي بروما حائر(م) الخطوات لي سمع كفيف

يتحسس الكلمات كالأعمى بمهمهة يطوف
الدار تنكرني ولكني بساكنها شغوف
اشدو فينكر جوها شدوي وتلفظه السقوف

لقد كدنا ننهي شوطنا مع الحضراني ولكن الحضراني لم ينه شوطه ، ولكن على وجه البحث سؤال يلهث خلف جواب، إلى أي مدرسة من المدارس اليمنية انتمى الحضراني ؟ الحقيقة أنه ليس وتراً من قيثارة ، وإنما هو قيثارة مستقلة مشدودة الأوتار ، إلا أنه يجاري الزبيري في الموضوعات الوطنية ويعالج فنوناً أخرى ويفترق عنه في عدة سمات وإن كان الزبيري أغزر إنتاجاً وأطول نفساً . وطول النفس وغزارة الإنتاج لا يعدمان التجليات والخواطر اللامعة ، إلا أن الحضراني يستوفي غرضه بمهارة في قصيدة قصيرة أو مقطوعة ، ويطرح الفكرة في سهولة ، فيمكن أن نقول إن شعر الزبيري أكثر وأحمس، وشعر الحضراني أهدأ وأقوى دلالة، فهو أقرب إلى الهمس بالأسرار بينما شعر الزبيري أقرب إلى الجهارة الخطابية والنصاعة البيانية. وإذاً فمن يشبه الحضراني من مدرسة (حجة)؟ الحقيقة أن شعراء حجة لا يشبهون الحضراني ولا هو يشبههم ولا هو أشعر منهم، ولا هم أشعر منه لأنه قيثارة لا وتر من قيثارة، وذلك لما تفرد به شعره من الروائح الخاصة، والطعم الخاص، والهمس الدال على الأسرار، فهو كما أشرت شاعر متكامل الوجوه، متفرد بمزايا جعلت من شعره ديواناً يدل عليه حتى لو لم يعنون باسمه.

فلقد لمسنا في شعر الحضراني الأصالة والمميزات. ولكن لا ينبغي أن تذهلنا حلاوة العنب عن الحصرم. ذلك لأن حلاوة العنب تزيد من كراهية الحصرم، والشعر الجميل أدعى إلى النقد كما أن الوجه الجميل يبعث الملاحظات على ما فيه من نمش ، ومن أحسن قصائد (ابراهيم الحضراني) قصيدة (يمني في شوارع روما) التي سبق إثباتها قبل أسطر فلقد تأثر ابراهيم فيها بطريقة الأخطل الصغير في رثاء الزهاوي وغربته في الصحراء فلننصت إلى الأخطل الصغير أولاً:

يتساءلون من الفتى العربي، في الزي الغريب
جفلت به الصحراء والتفت الكثيب إلى الكثيب

وتـطلعت زمـر الجنـادب من فـوهـات الشقـوب
يـتـسـاءلـون وقـد رأوا قـيس المـلوح في شـحـوبي
والتمـتـمات عـلى الشـفـاه مضرجـات بـالنسيب
تنـدى لهـا قبـل الهـوى ويـذوب منهـا كـل طيب

فلقد هضم ابراهيم هذه القصيدة الأخطلية ونتيجة لهذا الهضم ظهر التأثر وكأنه خواطره الخاصة، فلننتقل من صحراء الأخطل إلى شوارع روما مع ابراهيم الحضراني ـ مرة ثانية تحت الملاحظات الناقدة:

تـتـسـاءل الجـدران بي وأنـا بساحتهـا أطـوف
من ذلـك الوجـه الغـريب وذلـك الشبـح النحيف
يمشي فتمشي حـول هيكله مـن المـاضي طـيـوف

لماذا الهيكل هنا للشبح النحيف؟ والهيكل صورة الفخامة في البناء والأشخاص والأشجار، أما كانت تغني عن الهيكل القامة، بل هي أوقع وأصح لغة :

(يمشي فتمشي حول قامته من الماضي طيوف)

أما الهيكل فلا ينسجم كرمز للنحول وابراهيم خير من يذكر قول (البحتري) في ضخامة فرسه وقوة تركيبه :

كـالهـيكـل المبـني إلا أنـه في الحسن جاء كصورة في هيكل

ولعل ابراهيم كغيره أخذ كلمة الهيكل من لغة التشريح الطبي أما البيت الرابع فلا غبار عليه لكن الغبار الكثيف على البيت الخامس، لماذا مهبط الرومان؟ ومن أين هبطوا؟ أما كان أجمل يا موطن الرومان أو منبت الرومان؟

والبيتان السادس والسابع نظرية وراثية مقررة في العلم، وجميلة في هذا الإيقاع الشعري، أما البيت الثامن فلمعة عبقرية زادتها إشراقة كلمة السمع الكفيف :

أمشي بروما حائر الخطوات لي سمع كفيف

فهي أروع من غريب الوجه واليد واللسان عند (المتنبي). أما البيت التاسع على ما فيه من صور، فهو توضيح غير ضروري فقد كانت كلمة السمع الكفيف إيماءة مشرقة إلى حيرة الغريب بين من لا يفهمهم ولا يفهمونه، وهذه الإيماءة غنية الاحتمال ولو لم يكن البيت التاسع لترك للقارىء مجال التصور والتخيل. لكن الإيضاح المتناهي حرم القارىء متعة التصور والرنو إلى إضاءة الرمز. فبعد أن عرفنا السمع الكفيف لا قيمة للبيت الذي تلاه:

يتحسس الكلمات كالأعمى بمهمهة يطوف

لأن تشبيه الكفيف بالأعمى كتشبيه الماء بالماء والغراب بالغراب. ولأن تشبيه الشيء بنفسه أو مثله يفقد التشبيه الأبعاد الشعرية.

أما قوله:

الدار تنكرني ولكني بساكنها شغوف

فمن أين جاء هذا الشغف، أمن وحشة الغربة؟ أم من عجمة اللسان؟؟ ولكن الذنب ذنب المجنون حين أحب الدار لحب سكان الديار، لكن لحبه مبرر، أما شغف ابراهيم ـ والشغف نهاية الحب لغة ـ فلم تنشأ أسبابه عن الحبّ ولكن القافية ذات إغراء.

أما قوله:

أشدو فينكر جوها شدوي وتلفظه السقوف

فتصور جميل لمن يرى حوله غربة المكان والناس. هذه قصيدة (يمني) في شوارع (روما) وضعتها كلها تحت الملاحظة النقدية، لأن عمقها وجمالها بعثا على الملاحظة وهذه الملاحظة تجرنا إلى ملاحظة على قصيدة أخرى تخلى فيها (ابراهيم) عن أسلوبه المميز مؤقتاً، ولهث خلف (نزار) و(كامل الشناوي)، أليست هذه النغمة نشازاً في إيقاع ابراهيم المألوف؟

اللّه قد صاغك من طينة كسائر الناس ولا أكثر
فحدثيني يا منى خاطري من خلق الحسن الذي يبهر
من جعل الألحاظ فتاكة والثغر من صيره يسكر
من خلق الفتنة غيري أنا أنا أنا خالقك الأكبر

برغم هذه الأنانة والنيزرة لم يستطع ابراهيم اللحاق (بنزار). فأبياته الأربعة لا تساوي هذا البيت (لنزار) :

أنا أنا بانفعالاتي وأخيلتي تراب نهديك قد حولته ذهبا

«لقد كان الحديث عن الحضراني بداية لائقة في دراسة مدرسة حجة لتفرده بعدة مزايا وبعدة عيوب، لكنها عيوب الأصالة وليست عيوب العجز ، لأن البحث عن الاجادة يقتضي تضحية، وأشرف ما في التضحيات هو سمو الهدف». [رحلة في الشعر اليمني ص: ٦٩ ـ ٧٧].

ذلك هو كل ما قاله الشاعر عبد اللّه البردّوني عن شاعرنا ابراهيم الحضراني وقد أحسن كثيراً ولكنّه ـ كعادته ـ قد دسَّ السمّ في العسل كما يقولون، وقد ناقشته عندما نقدت «رحلته الشعرية» في كتابي «من الأدب اليمني» ومن ذلك قولي في ص ٢٢٧ :

«وقد آن لي أن أقف مع الرحالة وَقْفةً قد لا تكون قصيرة في صفحة ٧٤ وهو يتحدث فيها عن ابراهيم الحضراني أيضاً، وإلى أي مدرسة من مدارسه المزعومة ينتمي، يقول:

«هو قيثارة مستقلة مشدودة الأوتار، إلا أنه يجاري «الزبيري» في الموضوعات الوطنية، ويعالج فنوناً أخرى، ويفترق معه في عدة سمات، وإن كان الزبيري أغزر انتاجاً وأطول نفساً ، وطول النفس وغزارة الإنتاج لا يعدمان التجلّيات والخواطر اللاّمعة، إلا أن الحضراني يستوفي غرضه بمهارة في قصيدة قصيرة، أو في أي مقطوعة، ويطرح الفكرة في سهولة، فيمكن أن نقول إن شعر الزبيري أكثر وأحمس، وشعر الحضراني أهدأ وأقوى دلالة، وأقرب إلى الهمس

بالأسرار، بينما شعر الزبيري أقرب إلى الجهارة الخطابيـة، والنصاعـة البيانيـة» الخ . . .

ولن أناقش «الرحالة» عن مدارسه المبتدعة، ولا عن الأوتار والقيثارة ، ولا ضير حين يقارن بين ابراهيم الحضراني ومحمد محمود الزبيري، أو يفاضل بينهما، فهما علمان من فحول طبقة واحدة، بين شعراء اليمن المحدثين، ولن أعترض كما سبق حين قرن الزبيري بجراده ونصر والشحاري، وتعقيبي أولاً : أن الحضراني قد يجاري الزبيري في الإبداع والجودة في كل المواضيع، وأنـا معه في ذلـك، وأما الموضوعات الوطنية فالزبيري لا يجارى، وهو بحق الشاعر اليمني الوحيد الذي يستحق لقب «شاعر الوطنية».

وثانياً: إنني أشتم من قوله «شعـر الحضراني أهدأ وأقـوى دلالة» رائحـة التحامل على «المرحوم»، وأنه لم يقصد مدح الحضراني، ـ وشعره بحق هادىء قوي فوق تصوّر البردوني ـ وإنما قصد الحط من شعر الزبيري، وقد يكون حيناً هادراً كالبحر الزخار، ولكنه قويّ متين في كل حالاته، وقد سبق أن أوضحت هذا.

ثالثاً: يقول «إن الزبيري أطول نفساً من الحضراني»، وهذا لا أساس له من الصحة، وأظنه لم يطلع على مطولات ابراهيم الشاعر الذي يستوفي غرضه بمهارة أحياناً «كما يفعل الزبيري في قصيدة قصيرة، أو مقطوعة»، ولكنه أحياناً قد يمد نفسه حتى يجاري الزبيري ويجلي في ميدانه الفسيح بمدٍ من الإلهام الفني». وقلت في ص: ٢٢٨.

«ومن مطولاته قصيدة «عواطف» التي أنشدها في شهر ذي الحجة سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) : [انظرها في الديوان رقم: ٩٥] ومطلعها:

قدسية الحب منها صغت أوزاني   وحولها حمت كي أَمْتَاح الحاني
والشعر لن يخلب الألباب رونقه   إن لم يذب فيه قلب المغرم العاني

وقلت في ص ٢٢٩ :

«ومن مطولاته الجيدة قصيدته التي أنشدها في تعز أيضاً يوم عيد الفطر سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) [راجع الديوان رقم : ٩٦] ومطلعها:

شاعرٌ بات سادراً في مكانه مصغياً لاستماع همس جنانه

ومنها البيت البديع:

إنما الكون مصحف أنت يا شا عر قاري الجلال من تبيانه

ومنها:

هتف الفيلسوف يبغي نجاةً من ضجيج الزمان ، من غليانه
وانبرى يشرح السعادة للناس جميعاً بسحره . . ببيانه
فتلاشى أنينه في خضم صاخب كالجحيم في طغيانه

وطويلته في عيد الفطر سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م): [راجع الديوان رقم : ٩٤]

ما باله في حنايا الصدر نشوانُ في كل يوم له شجوٌ وألحان
قلب سقته اللَّيالي خمرةً فصحا من حوله كل قلب وهو سكران
لا تطلبوا منه دنيا غير خاطرة في باله ، إنه بالشعر ملآن

ومن مطولاته في ٦ شوال سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م): [راجع الديوان رقم : ٩٧]

لتكن كالماء للصادي شرابا أو تكن إن شاءت الدنيا سرابا

ثم قلت ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠:

ولن أطيل فأخرج عن الموضوع، ولكن هل يدري «الرحالة» أن ابراهيم الحضراني هو ابن الشاعر العالم الراوية أحمد بن محمد الحضراني أطال اللّه عمره، صاحب أطول نفس بين شعراء القرن الرابع عشر الهجري، فقد يظل ينظم القصيدة سنوات حتى تبلغ أبياتها المئات، دون ملل ولا كلل وفي نسق عربي مبين، والبردوني قد اعترف بوراثة الشعر في صفحة ١٠٥ عند تعرضه للحديث عن الشاعر العالم الراوية عبد اللّه بن عبد الوهاب الشماحي.

وبمناسبة الكلام عن ابراهيم الحضراني فإن البيت الذي رواه الرحالة في صفحة ٧٠:

هو نجـــم هوى وركن تحطم وبناءٌ من المعالي تهدم

ليس في رثاء القاضي يحيى الأرياني، بل قاله ابراهيم يرثي القاضي عبد اللّه العزب المتوفى في تعز ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥م) وقد رواه حسب مزاجه أما الشاعر فقد قال:

هو نجمٌ هوى، ونصل تحطم، وبناءٌ من الفخار تهدم
ويحكم أيها اليمانون هذا كارثٌ في البلاد يُبكى له دم

وكنت قد قلت في فصل «اختلاقات واختراقات» ص: ٢٢٣ ما يلي:

«وهناك ما لا يصح أن نسميه اختلاقاً أو اختراقاً، وقد يجوز فكاهة ومن باب عَجْنِ اللغة أن نسميه «اختفاقاً» إما من الاخفاق لغوياً، أو من «الخَفْقَنَة» وهي الخَبَال عرفاً، مثل روايته للبيتين المشهورين لابراهيم الحضراني صفحة ٧٠:

يا ليت لي كبشٌ أضحي به أركبه إن جئت في الآخره
لا تعجبوا مني ولا تسخروا فربما جئت على طائره

فلم يكن الشعر كما روى، والذي قاله إبراهيم بعنوان «مطيتي على السراط»:

ليس معي كبشٌ أضحي به أركبه إن جئت في المحشر
لا تعجبوا مني ولا تسخروا فربما جئت على «موتر»

و«الموتر» بلغة اليمنيين الدارجة «السيارة».

وكنت حينذاك ألصق الناس به، وأول من سمع البيتين منه، فقلت ضاحكاً معه مزدرياً بتقاليد وأفكار العهد كما كان ابراهيم يفعل: هل لي أن أُغير شعرك ؟ قال: وكيف ؟ قلت: البيت الأول «إن جئت في الآخره» وقافية البيت الثاني «على طائرهْ» قال ضاحكاً: وإن شئت على «باخرة» أو «على قاطرهْ» . . .

وأعجب من هذا، أن ينتقل البردوني بعد روايته لهذين البيتين الساخرين انتقالة لم أفهمها فيقول تعليقاً «وقد أفضت به ـ الحضراني ـ السخرية ، والهجائية ، إلى النضال الوطني ، حيث يكرم الحقد ويشرّف العدا» هكذا ص ٧٠ :

أيها القائم بالأمر الذي يرضى الكتابا
فاز من شب على ما ينفع الشعب وشابا
وتحدَّى في طريق المجد أرزاءً صعابا

وأنا أعلم ـ مثل غيري ـ أن هذه الأبيات من قصيدة طويلة نشرتها مجلة «الحكمة» اليمانية في عددها الثالث عشر شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) وهي موجهة أصلاً إلى رئيس تحريرها السيد أحمد عبد الوهاب الوريث ومنها:

دم لليل الجهل في الأمة بـدراً لـن يـغـابـا
لا تـظن الـسعـي والإخـلاص لا يفـتـح بـابـا
سوف تجني من ثمار المجد ما لذّ وطابا
وتربّي من عقول القـوم ما أضحى يبابا

إلى أن يقول:

شمروا يا أمة الضاد شيوخا وشبابا
واحذروا ما يكسب الأعراض شتماً وسبابا
وادخلوا للنسر وكرا، ولِجوا للّيث غابا
أمم الأرض غدَت فيها ليـوثـاً وذئـابـا
زاحموا الدعموص في الأ رض وفي الجو العقابا
وتراهم من خيوط الشمس قد صاغوا حرابا

وهي من أوائل شعر ابراهيم، ولم يكن قد جاوز العشرين عاماً، حتى إن النـاشر قال «لـلأديب الشاب اليمني ابـراهيم الحضراني».. وإذاً فـلماذا قصـد البردوني بالسخرية والهجائية و«تكريم الحقد»، وتشريف العـدا؟ وكيف يرجـع القهقرى خمس سنوات من تاريخ إنشاء البيتين «وليس معي كبش أضحي به» سنة

١٣٦٣ هـ إلى (١٣٥٨ هـ) حين نشرت «الحكمة» قصيدة «أيها القائم بالأمر»، زاعماً أنها من قصائد ابراهيم النضالية ، بعد أن هاجر من «ذمار» إلى «تعز» حيث التقينا ؟

ومتى عُرف ابراهيم بالحقد والعداء وما عرفناه إلا «خليلاً» مخلصاً، طبعه أرق من نسمات الزهر، وإحساسه ألطف من همسات السحر. . !!

الزيدي الراوية:

وبقي أن أضيف؛ أن قول الشاعر البردّوني إن ابراهيم الحضراني «كان لسان أهل السنة يناضل الشيعة وهو يمثل الصراع بين المذهبين» في ذمار وأنه كان يهجو علماء وأدباء الشيعة ليس معقولاً ولا مقبولاً بل ولا منقولاً، وليس لأني لم أسمع هذه الدعوى من ابراهيم أو من غيره، ولا لأن ابراهيم الحضراني من أسرة «زيدية» عريقة، وأباه وجده وأخاه محمداً من شعراء «الزيدية» المشهورين بمحبّة «أهل البيت»، ولكن لذلك ولأني أعرف ابراهيم الحضراني الذي يحفظ من القصائد في «مقاتل الطالبيين» ما لا يحفظه غيره من شعراء وادباء اليمن، وعلى لسانه تدور العشرات من قصائد «الشريف الرضي» و«مهيار الديلمي» و«الحسن الهبل» وغيرهم من شعراء الشيعة، ولقد كان يسلينا بها ونحن في اعماق سجن «نافع» فنجد فيها من العزاء ما يخفّف عنا العذاب.

وقد اثبت ما رواه البردّوني من الهجو في السيد العالم الجليل «حمود الدولة»، والعالم الشاعر الراوية صالح الجمالي شيخ واستاذ والد ابراهيم العالم الشاعر الراوية أحمد الحضراني رغم شكي في نسبتها إلى ابراهيم لأنّي أعرف أن الأستاذ عبد اللّه البردّوني قد ينسب إلى الناس ما لا يقولونه كما أثبت ذلك في كتابي «من الأدب اليمني».

ولا بد أن أقول ما سبق أن قاله أحد أدباء مصر عن شاعر النيل حافظ إبراهيم: إن من لم يعرف ابراهيم الحضراني الحافظ الراوية المحدث النديم لا يعرفه حق المعرفة.

القُطُوفُ الدَّوَانِي

(١)
فاز من شبّ على ما ينفع الشعب

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الحكمة اليمانية
في عددها الثالث عشر ذي القعدة/١٣٥٨ هـ
الموافق/ديسمبر/ ١٩٣٩ م ما يلي :

ـ للأديب الشاب اليمني ابراهيم بن أحمد الحضراني»[١] :

أيّها القائم بالأمرِ الذي يرضى الكتابا
دم لليل الجهل في الأمة بدراً لن يغابا
لا تظن السعي والإخلاص لا يفتح بابا...
سوف تجني من ثمار الجدّ ما لَذَّ وطابا
وتربّي من عقول القوم ما أضحى يبابا
إنما الماجد من لم يأل للمجد طلابا
ويرى ما خالف الحق ـ وإن جلّ ـ سرابا
فهو لا يخشى إذا ما قال بالحقّ عقابا
إنه لا يمتطي المجد فتىً ذلّ وهابا

(١) لعلّ الشاعر وجّه هذه القصيدة إلى رئيس تحرير مجلة «الحكمة اليمانية» السيد العالم الأديب أحمد بن عبد الوهاب الوريث ولعلّه قد حذف منها أبياتاً، فثمة فجوات في السّرد وهي فيما أعلم أقدم قصائد هذه «القطوف» تاريخاً، ولا شك أن الشاعر قد أنشأ قبلها عدة قصائد ونظم الكثير من شعره الذي لا يزال مفقوداً» . جامع الديوان أحمد محمد الشامي .

قـل ولا تخش ؛ فـما فـاز امرؤ دارى وحـابى

* * *

فـاز مـن شـبَّ عـلى مـا ينـفـع الـشـعـب وشـابـا
وتـلقَّـى في سـبـيـل المـجـد أرزاءً صـعـابـا
كـل حـرٍّ قـلبـه ممّـا جـنـاه الـدهـر ذابـا
كـيـف لا يـؤلم دهـر خـاس ـ واللّه ـ وعـابـا
جـعـل الـسـيـد عـبـداً جـعـل الـرأس ذنـابـا
وشـبـاب الـديـن لم يخـشـوا عـلى الـديـن ذهـابـا
خـاس مـن لم يخـدم الأمـة والـديـن وخـابـا
لا تـظن المـجـد أمـوالاً، وخـيـلاً، وركـابـا
فـوربّ الـعـرش مـن سـيرّ في الأفـق الـسـحـابـا
إنها سـوف تُـرى في أسرع الـوقـت سرابـا
ويَـرى صـاحـبـهـا مـن بعـدهـا العجب العجـابـا
عـنـدمـا يـنـظر فـيـما وجّـه الـعـمـر اكتسـابـا
ويـرى راحـتـه صـفـراً مـن الخـير يـبـابـا...
يـتـمـنى عـنـدهـا لو أنـه كـان تـرابـا

* * *

كـل شـخص غـمط الحـقّ جـديـر أن يُـصـابـا
أوليـس الـلّه قـد صـبَّ عـلى الـعـاتي عـذابـا
وفـريـق مُـسـخـوا لَمـا عـتـوا عـنـه كـلابـا...
بـعـدمـا أن لَـبـسـوا مـن حـلل الـفـخـر ثـيـابـا؛
أبـعـد الـلّه امـرءاً عـن مـنـهـج الحـق تـغـابى

* * *

شـمـروا يـا أمـة الـضـاد شـيـوخـا وشـبـابـا
واحـذروا مـا يـكـسـب الأعـراض شـتـماً وسـبـابـا
«وادخـلوا لـلنسر وكـراً ولجـوا لـلـيّـث غـابـا»

أمـم الأرض غـدت فـيـهـا لـيـوثـاً وذئـابـاً
زاحمـوا الـدعـمـوص في الأرض وفي الجـو الـعـقـابـا
وتـراهـم مـن خـيـوط الـشـمس قـد صـاغـوا حـرابـا

ذمار / ١٣٥٨ هـ

(٢)
راحة الموت . .

وقال:

يـا أخـي لا تـبـك أو تـضـحـك مـن مـرّ شـكـاتي
لا تـلمـني واجـعـل الـرحـمـة تخـفـي عـبراتي
كـن نـسـيـاً لي إذا مـا هـب مـن غـيرك عـاتي
وإذا عـدّدَ اخـطائـي فـعـدّدْ حـسـنـاتي
آه مـا أروع مـأسـاتي، ومـا أشـقـى حـيـاتي
لا أراني أجـد الـراحـة إلّا في مـمـاتي
فـابـن لي رمـسـاً ورح نـفسي فـيـه ورفـاتي

تعز / ١٣٦١ هـ

(٣)
وهم الشقاء

وله:

ربما كان ما أحسّ من الآلام وهماً أوحى به تفكيري
فلعلي أعيش في كنف النعماء لكن أخطأت في تقديري
ولقد مرّ بي زمان توهمت بأني في ظل عيشٍ نضيرِ
ناعم البال رفرفتْ حولي الفرحة، والبشريات حول سريري

تعز / ١٣٦٢ هـ

(٤)
الروحان تتعانقان

كتب ابراهيم:
«إلى الشاعر الموهوب السيد عبد الوهاب بن محمد الشامي».

إيه «عبد الوهاب» هزّ شعوري لحنك العذب هِزّة النشوانِ
وسما بي إلى فضاءٍ من الحبّ، من الشعر طافحٍ . . . . بالمعاني
فنسيت الحياة حولي ولا تعجبْ عزيزي فإنه أنساني
وأنا الشاعر الذي إن نسيت الناس حولي : فإن ذلك شاني
كلمات شجيّة هي كالأوتار . . . محنيةٌ على وجداني
فتصفحتها وخيّل لي أنّا . . . على البعد جدّ مقتربان
وكأنا رغم الفراق اجتمعنا وكأن الروحين تعتنقان

* * *

إيه «عبد الوهاب» هذا هو الشعر سباني جماله وشجاني فاسم فيه؛ ولا تقف عند مخلوقٍ مهين، ولا تقف في مكان في رحاب الأملاك فألْقِ عصى السير مجدّاً في ساحة الرحمان وانتزعه عن قلبك الغض لا عن صخب الرعد أو ضجيج الزمان قلبك الغض فامل عنه ففيه الأمل الحلو والهوى والأماني

١٧ صفر / ١٣٦٣ هـ

(٥)
اذكرونا مثل ذكرانا لكم

قالها ابراهيم في وداع صديقه الشاعر الحضرمي حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف عند مغادرته تعز/١٣٦٤ هـ .

يا صديقي قلْ لي متى حازك البينُ . . وبلغتَ من أمانيك شيّا
أترى أنت ذاكري يوم كنا نشتكي هذه الحياة سويا

(٦)
يؤلمني

وله:

أما أنا فيهزّ اعصابي حبيبٌ هاجر
وأخ له نصفي المودة . . وهو خب غادر
ومهذب يقتاده سفهاً جهولٌ قادر
ويهزّ أعصابي كريمٌ في المهانة صابرُ
ضاقت به الدنيا العريضة ؛ فهو عان حائر

(٧)
هل من حيلة؟

ومن شعر الصّبا والشباب قوله:

أعيش في بحرٍ من الحبّ لا ... ينفك ذا مدٍ وذا جزرِ
ما زلتُ في أمواجه عائماً ... مستسلماً للخير والشرّ
أرى بأنّي لو تعدّيته ... لعشت في بؤسٍ وفي ضر
وكم أغاظت حالتي هذه ... معاشرا يعنيهم أمري
أقول مهما طال تعنيفهم ... وبالغوا في النهي والزّجْرِ
هل حيلةٌ؟ تخرجني مثلما ... يُسْتخرج الحوت من البحرِ

(٨)

يا طير

يـا طـير هـل بـك لـوعـةٌ مثـلي وهـل تحيـا مـشـرّدْ؟
وتـبـيـت يـا طـير الأراك كـما أبـيـت أنـا مـسـهّـدْ
لـو كـنـت مـثـلك لم يـكـن لي في الـدجى أسفٌ يـردّدْ
ولَـطِرتُ أنّى شئـت إذ كـلّ الـفضـا سَـنَنٌ مـعبّـدْ
ولأنـت مـثـلي أنـت مـثـلي بـالأسى يـا طـير مـكـبَـدْ
ووراء هـذا الانـطلاق كـما أخـال هـوىً مـقـيّـدْ
من ذا يجـير أخـا الصبـابـة من جـوى في الـقلب مكمـدْ؟

(٩)

ويْحي لأحلام الصّبا

ومن شعر ابراهيم في تعز سنة ١٣٦٢ هـ :

يخـــونني قلبي وجسمي مـعــا   لتلكَ أنكى نكبـــات الحـيــاهْ
خـطبان لـو صُبّا عـلى شـاهقٍ   لحـطّماه، ولهــدّا قـواهْ
عـلى صبابـاتي، عـلى ميعتي،   عـــلى أمـاني القلب والمفتــاهْ
ويحي لأحـلام الصبـا أصبحت   تـلوح في افق بـعـيــد مــداهْ
بعيــدة عـنّي أراهـــا كـــما . .   أرى بعينيّ السُّـها في سمـاه

(١٠)
يا صاحب القلب الكبير

دع كلَّ قاصٍ في العباد وداني ... لا يثنينّك عن مرامك ثان
واقدم على الدنيا وخض غمراتها ... بفؤاد جبّار ولطف جبانِ
واحمله قلباً كالجحيم إذا سطا ... تهتزّ منه فرائص الشيطانِ
ما لانت الدنيا ولا حدثانها ... إلّا أمام عزائم الشجعان
هي مضغةٌ بين الضلوع خفوقها ... ترتاع منه طوارق الحدثان
ما الرعد إن نبضت ؛ وإن هاجت فما ... وقع الحديد ، وضجّة النيران
تقع الخطوب على جوانبها كما ... يقع التراب بصفحة الصوّان

(١١)
الهمة العالية

ليكنْ همّك العلوّ إذا ما رمتَ شأواً مِن الفخار بعيدا
ثُم لا تحتفلْ ؛ أَسرتَ سريعاً للمعالي ، أم سرتَ سيراً وئيدا
ستؤدّي ما بين جنبيك للمجـــد ، وتمضي مكرماً محمودا

(١٢)
النَّفس الأوّل

وقال يقرظ ديوان «النفس الأول» للسيد أحمد ابن محمد الشامي سنة ١٣٦٣ هـ :

عالمُ الشعر كان قبلك فوضى يتلاشى جماله يتبدَّدْ
قصَّ منه الجناحَ قومٌ ؛ فمِنْ أينَ له أن يطيرَ يوماً ويصعدْ
جعلوه عبداً ذليلاً على الأبواب ؛ في كلّ ساعةٍ يتردَّدْ
فامحُ ديجوره فما أنت إلّا كوكبٌ في سمائه يتوقّد
وارفعِ الصوتَ وارسل «النفسَ الأوّلَ» روحاً للشعر يا بن محمّد

***

لك نفسٌ وراء شعرك تبدو هي أسمى من كل شعرٍ وأبعدْ
صاغها مبدعُ الفنونِ قصيداً سرمديّاً جماله ليس ينفدْ

تعز

(١٣)

بيت في الحب

لابراهيم الحضراني أبيات مفردة في معانٍ شتى منها هذا البيت المفرد:

أحببتُ حتى صرتُ أرثي لِمَنْ   ماتَ ولم يظفر بأحبابِهِ[١]

ولما قرأه عليّ حين زارني في بروملي قلتُ:

قد مات عن أحبابه راضياً؛   إذ إنهم قد عرفوا ما بِهِ؛

(١) رثى يرثي لفلان: رقّ ورحم.

(١٤)
أمنيةٌ

وله:

يا ليت أني ما عرفت الهوى، وليت أني ما شهدت الوجودْ
وليت قلبي قُدَّ من صخرةٍ فعاش في الدنيا كأهل الجمودْ
لأيِّ شيءٍ رب أوجدتني ألِشقاءٍ يا ترى أم سعودْ؟
وهذه الآلام ما شأنها؟ وأي شيء بعد حين تعودْ؟

(١٥)
فراغ

دنياي خاويةٌ ؛ فلا تلحونني ... إنّي بكل شؤونها لم أحفلِ
من لي بدنيا لا أفكر عندها ... بحوادث الماضي ، ولا المستقبلِ
أغنت فؤادي عن تذكر غائب ... آسي عليه ، وعن ترقُّب مقبلِ

تعز / ١٩٤٦ م

(١٦)
على سرير الموت

ما الذي تبغيه منّي يا قدرْ قبل أن أقضي من العيش الوطرْ ؟
لي آمالٌ إذا لم أقضِها . . بقيت في القلب ناراً تستعِرْ
لا أبالي جنة الفردوس إن فرشت لي ؛ لا ولا أخشى سقَرْ

(١٧)

عندما أفقد آمال الحياة

إن في الجنة أزهاراً وما وبها الفرحة تغدو وتروحْ ،
غير أني سوف أبقى بائساً يا جنان الخلد أبكي وأنوحْ

تعز / ١٩٤٥ م

(١٨)
الحب

خضته خائر القوى ... جاهلاً عمقه البعيدْ
جئته حائراً بلا.. ... عدةٍ لي ولا عتيدْ
غير قلبٍ محطّم ... هو نبراسي الوحيد
يا له من مكبّل ... اثقلَتْ خطوه القيودْ
كلما رام غايةً ... وقفت دونه السدود
هزّني الحبّ هزّةً ... غيرت وجهة الحياهْ
وقف القلب عندها ... حائراً باكياً مناهْ
يا لآماله فقد ... حطم الحب ما بناه

تعز / ١٩٤٦ م

(١٩)
في سبيل بلادي

كم تعـذّبت في سبيل بـلادي وتعــرضت لـلمنــون مــرارا
وأنـا اليـوم في سبيـل بـلادي أبـذل الـروح راضيــا مختـارا

سجن حجه / ١٩٤٨ م

(٢٠)
طاهش الحوبان

وقدمها إلى الإمام أحمد بتعز عام ١٩٤٧ م.
فقال :

يا مليك البلاد قد كلَّ عزمي ... ووهت كل قوّة في كياني
قدمي مركبي إلى ساحة الدرس أعاني من الونى ما أعاني
فمروا لي ببغلة أمتطيها ... في الطريق الطويل أو بحصان
فإذا لم أفز بهذا ولا ذا ... وتمادى الزمان في حرماني
فاعذروني إذا أتيت إليكم ... راكباً متن «طاهش الحوبان»

(٢١)
مطيتي على الصراط

وقال:

ليس معي كبش اضحي بــه   اركبــه إن جئت في الآخــره
لا تضحكوا مني ولا تسخروا   فــربما جئت عــلى طــائــره

تعز / ١٩٤٧ م

(٢٢)
بلا عنوان

سيقـدم الناس لـدى حشرهم   هـذا عـلى ثـورٍ وهـذا طـــلي
ونحن يـا مـولاي نخشى بـأن   نقـدمـه مشياً عـلى الأرجـــل

تعز / ١٩٤٧ م

(٢٣)
على سفّود الدهر

رُبّاه حتى ما أرى ضائعاً ... أجري وراء الأمل الضائعِ
كأنني «العقاد» مستسلماً ... والدهر في قسوته «الرافعي»

تعز / ١٩٤٥ م

(٢٤)

قدر

وله:

إن الـذي كـوّن في أضلعي ... قلباً بحب الحسن مجنونـا.
أودع في قـلبي الهـوى مـثـلما ... أودع في الأرض الـبراكينـا.
طغى.. فلا يلوي على منطق، ... وثـار، لا يعـرف قـانـونـا،
كم غلط الناس، وكم حاولوا ... بـالنصـح إرشـاد المحبّينا،
مـأساتهم ليس لهـا آخـرٌ، ... وداؤهـم أعـمـق تمـكـيـنـا،
لـو لم يموتـوا في الهوى ظـاهراً ... مـاتـوا بحمـل الهم مـدفـونـا

* * *

(٢٥)
ليت

وله :

ليت لمّا رأيت حسنكِ أطبقتُ عليه الجفون كيلا يزولا . .
ليت لمّا لثمتُ ثغركِ داوى في ضلوعي جوًى، ورَوَّى غليلا،
أنا ظمآن يا مليحة ظمآن، ولو أنّني شربت «النّيلا»!
ما شفائي وصلٌ مداه قليلٌ ، وبراني بعد يدوم طويلا . .
لحظات اللّقاء يا ليتها دامت، وكانت لها حياتي بديلا،
ليتني قد حملتها في ضلوعي نفحات، وفي فمي سلسبيلا.

* * *

المصور / ١٩٦٣ م

(٢٦)

زفرة شيطان

وقال مستقبلاً بها صديقيه الشاعرين محمد محمود الزبيري وأحمد محمد الشامي حين قدما إلى تعز من صنعاء عام ١٩٤٤ م.

غـرّدا أيهـا الشجيّـان حـولي ودعـاني للنّـوح ممـا أعـاني
لكـما نغمـة المـلاك ولي في عـالم الفن زفـرة الـشيـطان
ردّدا نـغـمـة الـبـلابـل إني عن فم البـوم أستقي ألحـاني
عن ضجيج السكون عن وحشة الليل، عن اليأس، عن دموع العاني
إن تـطوفـا عـلى المجـالس بـالأنـوار إني أطـوف بـالنـيرانِ
لا؛ فقلبي أرقّ من أن يثـير البؤس واليـأس في بـني الإنسـان
صيـغ من رقـة الـنسـائـم والـزهـر فؤاد المـدلّـه الـفنّـان

* * *

(٢٧)

هكذا أحب

وقال:

أحبّكِ في خاطري ضجّةً وفي مسمعي نغمةً حانيَهْ،
وأمّا دمي فهو يهواكِ جسماً يسيح بأحضانه الدافيَهْ،
أحبّكِ في مثل سمت الملاك، وأهواك زُلْفَى لشيطانيهْ،
أحبّكِ حيث أظنّ القلوب عليك مدلّهةً ظاميَهْ
وأهواك حيث مجال الصراع عنيف كما يتراءى لِيه
أحب بقلبي، أحب بجسمي بأقصى غروري، بأعماقيَه

* * *

(٢٨)
ما لقلبي؟

وله :

ما لقلبي يتضرّم؟ وكياني يتهدّمْ؟
أيّها النفس حنانيْك اهدئي . .
أيها الآمال مَهْ . . لا تعبسي . . وابتسمي . .
لِمَ لا أحيا كما تحيا الطيور . . وادعا . ؟
أتغنّى حين أغدو وأروح . . لاهيا .
لا أُبالي همّ أمسي أو غدي ،
واجدا في كل شيءٍ متعتي ،
في الهواء الطلقِ . . في عَرف النّسيمْ
في خرير الماء . . في سحر الأصيلْ ،
لستُ بالمسؤول عن هذا الوجودْ :
أنا فيه ذرّةٌ في جبلِ . .
أو حصاةٌ في خضمّ مزبدِ .
إنما جئت لأحْيَا . . بفؤادٍ كالربيع .
لا ترى فيه سوى غصنٍ يميسْ . .
وهزارٍ يتغنّى فيه . . أو زهرٍ يضوعْ . ؟

لِمَ لا أقطع شوطي هاديا . .
وادعاً كالبدر يهدي السائرين . .
ويجلّي ظلمات الغسقِ . . دون أن يطلب أجرا . .
من جميع الخلق . . أو يرهب ضرا ؟

* * *

لِمَ لا أسري كما يسري النسيم . . عاطرا . .
ينعش النّاس شذاهْ . .
كلّما هبّتْ صباه؟

* * *

لِم لا أقضي حياتي وأنا . .
مثلما الزهرة في الروض النضيرْ . .
كم تسرّ الناظرينْ . .
وتزيل الحزن عن قلب الحزينْ!
فإذا آن الأوانْ . . تركت هذي الحياة الصاخبَه . .
ثم تمضي في خضمّ الأبديّهْ . .
حيثما تفنى الحياهْ . . ؟!

* * *

يا لهذا القبر ما أوسعَهُ . .
يلتقي فيه جميع العالمينْ . .
من شريف ووضيعْ . . وعصيٍّ ومطيعْ .
يتلاقى الذئب فيه بالحملْ . .
ولديهِ الشهدُ والحنظلُ . . حلاّ في محلْ . .
والحصى والدر والمسك الثمين ،
كلها تُجْمع . . والطين المهين .

* * *

تعز / ١٣٦٢ هـ

(٢٩)
تاج العروس

أهديت إلى القاضي عبد الرحمن الأريـاني مع
كتاب تاج العروس .

يا آبن الأكارم من أقيال ذي يزنٍ تاريخهم في سجلّ الدهر وهّاجُ
هذا هو التاج يزهو في محاسنه، وأنت أجدر من يُهدى له التاجُ

(٣٠)
إباء الكريم

كان الفريق حسن العمري ـ عندما كان رئيساً لوزراء اليمن وكان يومها في القاهرة ـ على ميعاد مع رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي وعندما حان الميعاد اعتذر الرئيس الروسي بأنه مشغول بمقابلة رئيس آخر وطلب تحديد موعدٍ جديد فاعتذر العمري والغى المقابلة فقال ابراهيم :

أحسنتَ صنعاً بما أبديتَ يا حسنُ ما قلتها أنت؛ لكن قالت اليمن
تجاهلوها ولا يدرون ويحهمُ إن الكريمَ أبيٌّ حين يمتهنُ

(٣١)
لا صَبْرْ

وله:

لا تقل صبراً لِذِي شوقٍ فما لأخي شوق عن الأحباب صبرُ
كيف يستطيع وفي أجفانه إبرٌ تدمي وفي الأحشاء جمرُ؟

صنعاء ١٩٦٢ م

(٣٢)
لا عقل

ما زلتُ لي عقل أعيش به فإذا خطَرتِ فليس لي عقلُ
ولكم حللتُ بفطنتي عقداً أما هواك فما له حلُّ

تعز / ١٩٤٦ م

(٣٣)
أبرهة عاد

وله:

عادْ. عاد. . أبرهة الحبشي.
عادْ. . لتغوير الآبار،
عاد. . ليقتلع الأشجار،
عاد. . لقتل الأذواء،
ما ركب البحر. . أجل لم يركب بحرا. .
لم يقطع برا. .
عاد. ولا أدري فالجرثومة صغرى،
صغرى. صغرى. صغرى،
فلماذا عاد ممتلئاً حقدا؟
يا ابن الأقيال. . يا سيف بن ذي يزن صبرا. .
صبرا. صبراً. صبرا. .
ستهبّ رياح.
أشمال؟. لا أجنوب؟ لا. . لا.
من أين إذنْ. . من أين؟
من «حمير» «ردفان». . . من نقم الساخط والغضبان
من يمني. . يمن الإنسان.

اليمن . . الإنسان
هذا إيماني يا أخوانْ
هاتوا . . إن كان لكم ايمان .

(٣٤)

رمالٌ عطشى

النــدامى؛ وأين منّي الـنــدامى ذهبــوا يمنــةً، وصــرتُ شــآمــا
يــا أحــبّــاءنــا تـنــكّــر دهــرٌ كــان بــالأمس ثغــره بسّــامــا
مـا عليكم في هجرنـا من مـلامٍ قـد حملنا عن اللّيـالي المـلاما.
وطــوينـا عــلى الجــراح قلوبــاً دميتْ لــوعـةً، وذابت غــرامــا
سوف يدري من ضيّع العهد أنـا منـهُ أسمى نفساً وأوفى ذِمـامـا،
نـحن مـن لقّـن الحــمام فغنّى، ومن الشّــوق عـطّر الأنســامـا.
والندى في الريـاض فيض دموعٍ من جفــون لنـا أبت أن تنــامـا
كلما سجا الليـل والجوانـح هَيْمَى بتبــاريحهـا تنــاجي الــظلامــا،
النّــدامى؛ وأين منّي النــدامى؟ ذهبــوا يمنــةً وصــرتُ شــآمــا!

* * *

الـرمـال العــطشى وتلك نفـوسٌ تــتـلظّى صــبــابــةً وهـيــامــا
هــوّمي يـا رمــال؛ مـا دامت النعــماء يــومــاً، كــلّا ولا البؤس دامــا
قـد بذلنـا النفيس من كـل شيءٍ فجنـينــا الأحــلام والأوهــامــا
يـا ليـالي الأحـلام عـودي فــإنّـا قـد عشقنـا برغمنـا الأحــلاما
نبتـدي حيث ننتهي مــا بلغنــا مــن مــرام، ولا شَفَينــا أوامــا

(٣٥)
أنـا والحبيب

وله:

أريه اني قد تجنّبتُه ... ولم يعد قلبي في أسرِهِ
لكي أرى منزلتي عنده ... وأعرف المكنون من سرِّهِ
معتقداً أني سأقضي على ... دلاله الزائد، أو كبرِهِ
ولا تسل عما تكبدتُه ... من ألم الصّبر ومن ضرّهِ!
فيا لسوء الحظ لم يجدني ... شيئاً، سوى أن زاد في هجره
فلتضحكوا من قصّتي إنني ... أصبحت كالحائر في أمره

تعز / ١٣٦٣ هـ

(٣٦)
حكم الهوى

وقال:

وكم أفكّر في ذنبٍ أزيل به حُبَّ التي تيّمتني لوعةً وضنى
فما رأيتُ قبيحاً من خلائقها إلّا استحال على حكم الهوى حسنا

(٣٧)
مستهام

وقال:

مستهام يعبث الشوق به ... عبثَ الموج بأنّات الغريقْ
قلبه الدامي وقد حمّله ... من تباريح الهوى ما لا يطيق
ليس ينفك حزيناً موجعا ... يصحب الأيّام بالجرح العميق
وحّدتْه في الورى أشجانه ... فهو في وادٍ من الشجو سحيق
حيث لا موجدة من ناقمٍ ... تبلغُ الشكوى.. ولانجوى صديق
حار في حمل الهوى.. لا كفُّه ... عافت الكأس، ولا جفَّ الرحيق

(٣٨)

قلبٌ.. ونبع..

وقال:

أيهـا النبـع أنت تشبــه قلبي حـين تعطي ولا تمـلّ عطاءا،
وسواء عطاؤنا منح الأرض ربيعاً أو ضاع فيها هباءا،
حسبنا أنّنا ينابيعها الغُزْرُ، ولسنا صخورها الصمّاءا
أنتَ تنساب والروافد من حَوْلَيْك توليكَ قوةً وصفاءا
وفؤادي يكاد لم تُبْقِ منه لفحات الرمضاء إلاّ ذماءا
مفرداً.. غاضت الروافد ما اسطاعت صموداً ولا أطاقت بقاءا
قد عذرنا روافد الأمس؛ ما شاءت نضوباً، لكنه المحل شاءا
وسنعطي لا آبهين لمن راح من الآفلين، أو من جاءا
القلوب الظماء نمنحها الحبَّ، ونعطي لليائسين الرجاءا
ما خلقنا إلاّ لكي نُسْعِدَ الناسَ جميعاً، ونسعدَ الخضراءا

(٣٩)
أيسر البذل.. الدم!

وقال مخاطباً حملة الأقلام العربية من المحيط إلى الخليج في أحد مؤتمرات بغداد بعد الحرب العراقية الإيرانية :

لتسقط الضادُ أو فلْتَخْرسِ الكلمُ إن لم تعد وهي في هذا المكان فمُ،
أنحبس الحرف جبناً في حناجرنا وأيسر البذل في أرض العراقِ دمُ؟

(٤٠)

ما زال... ظلاماً

وله:

كلّ فجرٍ مرَّ فجرٌ كاذبٌ، فمتى الفجرُ الذي لا يكذبُ؟
لم تزل أضواؤه غائـرةً وعليها من قتامٍ حجُبُ!
حجبٌ؛ لكنّها زائلةٌ، إنّه آتٍ.. فعش يا «رجبُ»،
أملي قبل أُلاقي أجلي أن أراه ساطعاً يقتربُ،
يمنح الناس يقيناً صادقاً؟ هو أنّا في المعالي عربُ،

* * *

يا من استأنس قلبي بهمُ لعبٌ يجمعنا أو أدبُ،
كلّكُم دانٍ إلى القلب هنا، أو هنا، كلّ رفاقي نُجبُ
لا تطل خطوتنا عن ساحها الدجى فيه الردى والعطب
سألوني عن أناس لهمُ همٌ وهميّةٌ لا تنضبُ
قلتُ روح في الدجى سائبةٌ تعبت والناس منها تعبوا،
كيف أبني بيت جاري واهماً؟ كيف أبنيه وبيتي خرب!؟

٢٦ / سبتمبر / ١٩٦٥

(٤١)
أيها النائمون
البراكين نائمة . . !

وله:

أيّها النائمون في غابة الأسد على رسلكم فإنّي نذيرُ
البراكين يَنبتُ العشبُ غضاً في ثراها، ويسجع العصفورُ
البراكين قد تنام؛ ولكن ما أشد البركان حين يثورُ

(٤٢)
أنا . .

وله:

أنا ثورةٌ كبرى تلوح وتختفي، أنا من أنا؟ أنا جذوةٌ لا تنطفي
أنا روح جبّار تئنّ حزينة؛ تحت الأسار وما لها من مسعفِ
أنا أنّة المسكين تأخذ حقَّه كفّ الغنيّ وما له من منصفِ
أنا خطرة الصوفيّ في محرابه عظمت ففاضت عن نطاق الأحرفِ
لا الدهر يسعفني بما أهوى ولا هذي الحياة بها فؤادي يكتفي

تعز / ١٩٤٤ م

(٤٣)

غادة الطائرة . .

غادة قرّبت الحلوى لنا فهو يختال على معصمها
غفر اللّه لها ما ضرها لو سقتنا الحلو من مبسمها؟

سماء الجزائر / ١٩٧٥ م

(٤٤)
صمت نجد

يا رفيقيَّ قد مررنا بنجدٍ وهي ملءالنهى وملءُ الخواطرْ،
حيث عشنا تاريخ نجد بطولات كميّ، وعبقريّات شاعرْ.
ليت شعري ما بالها قابلتنا بسكوتٍ، ولا سكوت المقابرْ،
لم ترحب بنا مضارب عبسٍ، لا ولا هشّ للقرى حيّ عامِر!
قد رضينا بما رأينا وبالعلم اكتفينا، وما العليم بخاسر
نجد / ١٩٧٢ م

(٤٥)
قصتي مع الحسناء

وقال ويقصد بالحسناء الحرية :

عـذلـوني في محبتـهـا ... وهـواهـا وحـده قـدري
من أنـا حتى اعـانـدهـا ... وهي في سمعي وفي بصري
حمّلتني مـا تـنـوء بـه ... ـ في هـواها ـ طـاقة البشر
وإليكـم قـصـتي مـعـهـا ... بعض مـا يروى من الخـبر
لست أنساها وقـد بسمت ... كـابتسام الـروض بالـزهر
ثـم قـالـت غـيـر آبهةٍ ... بي، وما حولي من الأطر
ان هـذي الـدار ضيّقـةٌ ... ضيقهـا يفضي إلى الضـرر
ويكِ؛ هذي الدار دار أبي ... شـادهـا في سـالف العُصر
ليكن؛ مـا عاد لي وطـرٌ ... فيك. أو في الدار من وطر
مـا ترى جـدرانها حجبت ... عنك ضوء الشمس والقمر
شـادهـا أهلوك في ضنـك ... في الحجى ،في الوردِ والصَدَر
قلتُ: لا أبغي بهـا بـدلاً ... فَصِـلي إن شئتِ أو فـذر
نـفـرت عنّي مـغـاضبـة ... فهـوت نفسي عـلى الأثـر
أنتِ يا سمعي ويا بصري ... لـك ما تهـوينه. . فمـري
ومضينـا في الـطريق معـا ... للجنـان الخضر أو سقـرِ

(٦٠)

كلهم يحدثني عنك

وله:

حبّك؟ ما أقوى، وما أعمقا قد علم الأشياء أن تنطقا
قالت لي الصخرة: لا تنسه وكيف أنسى حبيّ الأسبقا؟
والنهر لمّا جئته مفرداً.. يسألني عن موعد الملتقى
والروض حتى الروض ما لم تكن بجانبي ينظرني محنقا
نسمته في مسمعي عاصف وزهره يوشك أن يحرقا
والعطر يأبى كلما رمته من غير أنفاسك أن يعبقا
علمتَ ما حولي حديث الهوى وكيف يُضني قلبيَ الشيّقَا

(٤٧)
حب ـ ثم فراق ـ ثم لقاء

يا مطار الكويت قصة حبٍّ أنت لم تدر كنهها يا مطارُ
هل لَمَسْتَ القلوب حين تلاقت أو رأيت الألحاظ وهي تُدارُ؟

يا حبيبي إذا ألم بك البرد وأدركت في أوروبّا شتاها
وتخيّلت أن ثمة كفّاً لجفون تلقي عليك غطاها
فتأكّد بأنها كف من يهواك حقاً.. كفّي أنا لا سواها

يا حبيبي واليوم هاأنت عدتا وبقايا من الحنان حملتا
تتملّى ملامحي بارتياب فأنا لا أنا، ولا أنتَ أنتا
ربما قلتَ أو أقول بهمسٍ يا رعى اللّه يوم كنّا وكنتا

* * *

(٤٨)

وداعاً يا . . .

قد سكن الجمر واللهيبُ والتحم الجرح يا حبيبُ
واللّيل ـ ليل الشجون ولّى وزال كابوسه الرهيب
لم أنس لم أنس يا حبيبي بأنك الداء والطبيبُ
راضون، راضون قد رجعنا لا حسناتٌ ولا ذنوبُ
أتوبُ؟ هيهات يا حبيبي لو قلتها انني كذوبُ
لقّنتني الحبّ، كيف عنه وعن معاناته اتوبُ؟
لا عيش لا عيش يا حبيبي بدون أن تخفق القلوب

الكويت ٢/١١/١٩٧٧ م

(٤٩)

نغمٌ يترنّح

إني ادمنتك يا مسكينْ وأنا مسكينْ
لا أدري من منا المورفينْ، أنتَ المورفينْ.
هل أنت صحوت على السكّين والقلب طعينْ؟
فأنا يا روحي في الحين اصبحت أنينْ

* * *

أحببتك يا لغزاً مبهمْ لا يُفْهَمْ
ان كنت بحبّي لا تعلم فَلْتُلْهَمْ
الموت فراقك والعلقم بل أعظم
لم تبق بجسمي قطرة دمْ لم تحلم

* * *

وبلغنا الغاية فلنرجعْ لا تسرع
الموت تقدمنا أصبعْ فَلْنُقْبِلِعْ
القطرة إن دامت توجع من تسمع

* * *

أنسَى؟ أفتنصحني أنسى؟ لا أقوى
هل ينسى الجمرة من يصلى؟ لا ينسى..
قدر؛ فلنصبرْ للبلوى الصبر دوا...

الصبر دوا،

الصبر دوا.

* * *

قل لي.. من حاك لنا المأساة أتقول: اللّهْ
كلاّ؛ اللّه لنا اللّه لا شيء سواهْ
سلم بالواقع يا لاَهْ فهناك إلَهْ

* * *

من أتقن صنعاً للأشيا من أحيا
من أضرم حبك في الاحشا من سوى
من أجرى في الأوراق الما في الظلما

لكن الميزان طغى
الميزان طغى... الميزان طغى
«يا معين الضنى عليّ أعنّي على الضنى»

(٥٠)

وكتب إليّ مقطوعة مطلعها:

لست أنسى بسفح لبنان يوماً قد خطفناه من يد الأيام
ونديمي فيه الرضيُّ وبشّـــار بـن بردٍ وعروة بن حزام

(٥١)

ي، م، ن

كتب ابـراهيم يقـول : كنت قبـل ثـورتي «صنعاء» و«عدن» أُسأل من أين أنا؟ فأقول من اليمن وأتوكل على اللّه، أما الآن فيقال لي: من أيّ اليمن؟ أمن الشمال أم من الجنوب؟

«يمنٌ» قلتُ فلم يقتنعوا ... دون أن يتبعها «جيمٌ» و«شين»
«يمنٌ» يا قوم هذي أحرف ... صهرتها في المحاريب قرون
وإذا ما شئتمو تبيانها ... فهي «ياءٌ» ثم «ميمٌ» ، ثم «نون»
كلّ حرف ما عداها منكرٌ ... همجيّ القصد مشبوهٌ لعين
ان حرف «الشين» شرٌ وهنا ... لا أطيق «الشين» و«الجيم» جنون
قسّما بل قزّما تاريخنا ... وكلا التقسيم والتقزيم هون
غضبت «حمير» في مرقدها ... وشكا «عثّر» واهتزّتْ «مَعِين»

* * *

الكويت

(٥٢)

من قصيدة طويلة

هنأ بها ابـراهيم الشاعـر المصري أحمد رامي
عندما أعطي جائزة الدولة:

يا أخي في الكفاح لا حيث يجري شاهراً سيفه الفتى المغوار
نحن فرسانها إذا ما تلاقت في الصراع القلوب والافكارُ
فلماذا ونحن لا نشعل الـ ـنار تهدّ النفوس منا النار

(٥٣)
تحيّة لعدن

وقال عند زيارته لعدن في شهر مايو/١٩٨٣ م :

حيّ الجبال الشمّ والكثبْا حيّ النسيم السمح إذ هبّا
يا شعر نحن اليوم في عدنٍ لِمَ لا تفيض لبوحها حبّا
رقّ الحبيب فطرت من فرحٍ حتى نسيت اللوم والعتبا
صافحتَ في أحضانها أملاً ولمستَ في جنباتها قلبا
وخبأت للأجيال أغنيةً من ذا سيعزف لحنها العذبا ؟

* * *

(٥٤)
يمنيٌّ في القاهرة

وله:

يا ابنة النيل وأم العرب ... أنا في ساحك لم أغترب
هذه الروعةُ مهما عظمتْ ... لستُ عنها ببعيد النسبِ
هي منّي وأنا منها أنا ... فكلانا عربيّ، عربي
أطلقي الصاروخ يامصر، انهضي ... للمعالي واصعدي للشهب
تلك أحلامي التي هدهدتها ... في ضلوعي، تلك أحلام أبي
من أنا لو لم تكوني سندي ... ويدي في حالكات النوب؟
من أنا لو انكرتني تربة ... أنكرت خير بنيك النجب
حيث يجري النيل في اعراقهم ... كرماً ينسيك عذب المشرب
وأبو الهول وأهراماته ... همّمٌ لم تنهزم لم تغلب
نَصَبوا لي ولماضي أمتي ... شرفاً لـولاهـمـو لم يُنصب
وتلاقت في العلا أمجادنا ... روعة «النيل» وماضي «مأرب»

(٥٥)
شكوى صامتة

وله:

من أنت يا من ترسل النظرات آلاماً وشكوى
وتصعّد الأنفاس أنّاتٍ وآهاتٍ ونجوى؟
وتريد أن تخفي الجراح.. عن العيون، وكيف تقوى؟
النار يفضحها الدخان وتحتها الأحشاء تكوى
يؤذي الحياة بأن تُرَى هذي الرّوائع وهي تُطوى
والغصن يذبل في الربيع الغضِّ والأزهار تذوى
من أنت؟ لا أدري سوى أني عليك أذوب شجوا
وألوم من سرق الربيعَ.. شذاه، مَن أغرى وأغوى،
اللّه ما خلق الجمال لكي يذوب أسى، ويضوى
لكن.. لتعبده القلوب، لينتشي فرحاً وزهوا

* * *

أحزينة النظرات ذات الكبرياء المستكينه
بُوحي لسمعي بالذي تخفي روائعك الحزينَهْ
الصمت - لو تدرين - أنكى من غناءٍ تكتمينه
بُوحي بشجوكِ لي فقلبي كاد أن ينسى شجونه
ينسى مُصَارعة الزمان وكيده.. ينسى جنونَهْ؛

سترين يا حسناء كيف تقلّب الدنيا اللعينَهْ
تؤذيك من حيث الهناء، وحيثما تترقّبينَهْ
في رقة القلب الرؤوم، وفي هوى النفس الحنونَهْ
حسناء هذي نفثةٌ من خافقٍ لا تعرفينَهْ
ستطوف حولك بالحنان أعزّ ما تتطلّبينه
توحي لقلبك بالرضى، وإلى ضميرك بالسكينَه

(٥٦)
يمني في شوارع روما

وله:

تتساءل الجدران بي وأنا بساحتها أطوفُ
من ذلك الوجه الغريب؛ وذلك الشبحُ النّحيفُ
يمشي فتمشي حول هيكلِه من الماضي طيوفُ
الذعر في نظراته والرعب والقلق المخيفُ
يا مهبط «الرومان» هذا ما جنى الزمن العجيفُ
من عهد «حمير» لا يزال يروعنا، أو عهد «خوفو»
والجرحُ؛ جرح المستبدّ له بأكبدنا نزيفُ،
أمشي «بروما» حائر الخطوات لي سمعٌ كفيفُ
يتحسّسُ الكلمات كالأعمى بمَهْمَهَةٍ يطوف
الدار تنكرني ولكنّي بساكنها شغوف
أشدو فينكر جوُّها شدوي، وتلفظه السقوف

روما ١٩٦٢ م

(٥٧)
بناة السد العالي

وقال سنة ١٩٦٥ م :

فتَنَتْنا «أسوان» لـمّا أتيناها نفوساً، وأدهشتنا عقولا.
بارِكُوها مغانياً آهلاتٍ بالمعالي ومجّدوها طلولا..
وانظروا كيف صار مجد جديدٌ في رباها يفوق مجداً أثيلاَ،
يا بناةَ «الأهرام» وهي لعمري آية الخلد في العصور الأولى،
غير مستنكر بعهد «الصواريخ» عليكم أن تصنعوا المستحيلا،
إنّه السدّ، إنه العمل الجبّار؛ يكفي على الطموح دليلا..
لم تعدّوا له الأكف قويّاتٍ لكي تحكموه عرضاً وطولا..
إنّما شدتموهُ علماً، وأعددتمْ له همةً، وخلقاً نبيلا..
وقوى من حوافز الروح تلقى صخرة في الثرى كثيباً مهيلا
بأبي كلّ أسمرٍ يرفع الفأس قوياً أو يحمل الإزميلا
لوّحَته حرارة الشمس حتى وضعت في جبينه إكليلا.
بين عينيه عزمة من «جمالٍ» تتحدى الزمان والمستحيلا
حفظ اللّه للعروبة والمجد «جمالاً» فكم أنال جميلا
إنّه وثبة العروبة من بعد خمولٍ أناخ دهراً طويـلا.
قل «لرمسيس» إن في مصر قوما عشقوا المجد فتيةً وكهولا

ورثوه عزيمةً ثم كانوا . . منه أسمى خُطىً ، وأهدى سبيلا
حملوا العِبء باهظاً حين صاروا يحملون القرآن والانجيلا

القاهرة / ١٩٦٥ م

(٥٨)
الشلّال

تكـونت عناصر هـذه القصيدة بـين الحديـدة وصنعاء، حيث يوجد شلال صغـير يعرج عليـه المسافرون والسواح ليتمتعوا بجماله وجمال الطبيعة حوله، عاد إليه الشاعر في الشتاء فحزن وقال :

يا حبيبي لقد مررنا بهذا النبع يوماً وحبُّنا دفّاقُ
ثم عدنا إليه والعشب قد جفّ، وجفّت في قلبك الأشواقُ،
هكذا قالت الطبيعة: إنّا هكذا هكذا لقىً وفراقُ؛
يا حبيبي سيرجع العشب غضّاً وسيلهو كعهدنا العشّاقُ
والعصافير في الروابي تغنّي والشذى والزهور والأوراق،
غير قل لي ربيعنا بعدما غاب، أيرجى لصُبحه إشراقُ
يا حبيبي وفي الضلوع رمادٌ من بقايا أيّامنا عبّاقُ
ضعْهُ فوقَ الجراح، ضعْهُ ولو طرفةَ عين - فإنّه ترياقُ
هذه لحظةٌ هي الدهر؛ لا ماضٍ تولّى، ولا غدٌ لا يُطاقُ،

* * *

أنتَ لست المدان إن ذبل العُشب فأودى أو جفّت الغدرانُ،
أنتَ من أنت يا رفيق حياتي؟ وأنا من أنا؟ كلانا دخان.

عصفت حولنا الرياح العواتي فهي ـ لا نحن ـ يا حبيبي تدان،
إنني قد سألت قلبي لك الغفران يا من وجوده غفران
أي قلبٍ وكيف يسمع قلبي؟ والهوى فيه صاخبٌ غضبانُ.
قضيَ الأمر يا أحبةَ قلبي، ليس لي قدرةٌ، ولا سلطانُ،

* * *

يا حبيبي وليس أوّل جرح كم حملنا لمن نحبّ جراحا،
ونسينا الجراح وهي دوامٍ والمساء الحزين والإصباحا،
سوف أنسى؛ أنساك يا مهجة النفس وأنسى الهموم والأتراحا
وعليك الجناح إذ انكَ الظالم بدءاً، أمّا أنا لا جُناحا
إن خوفي أن يثأر الحبّ ممّن داسه عامداً وولّى وراحا

* * *

يا حبيبي واليوم ها أنت عدتا وبقايا من الحنان حملتا،
تتملّى ملامحي بارتيابٍ فأنا لا أنا، ولا أنتَ أنتا
ربّما قلت أو أقول بهمسٍ يا رعى اللّه يوم كنّا وكنتا

* * *

فلْنعد، فلنعدْ إلى الشلاّل لهوانا الجميل أو للخيالِ
ومحيّاك شامخٌ متلألىء يا حبيبي شموخ تلك الجبال
لست أدري أحببتها فيك أم أحببت فيها جمالك المتلالي؟
أنتما أنتما معاً بهجة الروح، ومعنى الهوى، وسرّ الجمال
وجناحاي لو فقدت جناحاً عشت في لوعة وفي أوجَال

(٥٩)
صديقة الهاتف

وله:

لم أدرِ لمّا اتّصلَتْ ما اسمُها   أهند؟ أم ميّة؟ أم آمنهْ؟
قالت وقد أخلصتُ حبّي لها،   وأخلصت لي حبَّها الفاتنَهْ:
عرفتني؟ قلت لها: إنّني   عرفتُ فيكِ الفكرة الكامنَهْ،
عرفت أفكارك وقّادةً..   عرفت حتى نفسك الحازنَه،
قالت: تكهّنْ مَن أنا؟ قلتُ: لا   ماذا يفيدُ اسمُكِ يا كاهنه؟!

(٦٠)

من خلق الفتنة غيري أنا؟

وله:

اللّه قد صاغكِ من طينةٍ ... كسائر الناس ولا أكثرُ
فحدثيني يا منى خاطري ... من خلق الحسن الذي يبهرُ؟
من جعل الألحاظ فتاكةً؟ ... والثغر مَن صيّره يُسكرُ؟
من خلقَ الفتنة غيري أنا.. ... أنا.. أنا خالقكِ الأكبرُ
لولاي ما افترت زهور الرُبا، ... ولا شدا نايٌ ولا مِزهرُ
ولا علت عينيكِ إشراقةٌ ... يسبّح الله لها عبقر،
ما جسمك الرجراج لولا أنا؟ ... ما سحره؟ ما طرفك الأحورُ؟؟
إن تسأليني: كيف صورتني ... وأنتَ لا تقوى ولا تقدر؟؟
أنتِ لعمري أعرف الناس بي ... ما أحد مثلكِ بي أخبرُ،
ورعشة الوجنة عند اللقا ... تشهد لي، والطرف إذ يُكْسَر
خلقتُ هذا الحسنَ من خافق ... مضنىً، وطرفٍ في الدجى يسهر
خلقته من همسات المنى، ... من كلّ ما أهوى وما أكبرُ
من ومضات النور عند الدجى ... والليل من حولي يَعْكَوكر
أوّاه من قلب يقاسي الضنى ... في كل يوم جرحُه ينغزُ
أشكوكِ؟لا أدري ؛ألستُ الذي ... بكفِّه قد صُنِعَ الخنجَرُ

القاهرة / ١٩٦٢ م

(٦١)

صفحتان من الرحلة. . . وهامش

وله:

القريةُ تعرف والبندرْ ... والكثرة في وطني الأكبرْ،
الكلُّ يشير بإعجاب: ... هذا قد ثار، وما قصَّرْ،
وأنا ما زلتُ كبركانٍ ... يغلي، يتلظّى، يتفجَّر؛
مهلاً؛ سأقول لكم شيئاً: ... ثار البركان وما فكَّرْ

* * *

قلمي، كلماتي، أعماقي ... ثارتْ، جُنَّتْ، ، نفثت نارا
ومررت شواظاً من لهبٍ، ... وسحقتُ كباراً وصغارا،
وكفرتُ بقومي تاريخاً؛ ... وعبدتُ بلادي أحجارا،
وحميتُ الدار، وَلكنّي ... لم أحم الصاحب والجارا!

* * *

كم قلب رفّ ليغمرني ... بالحب، وعين ترعاني
ويدٍ مُدَّتْ لأبٍ حدبٍ ... نحوي وشعورٍ إنساني
فلويتُ الكفّ ولم أحفلْ ... منهم بالقاصي والداني
لم أذنب؛ كلاّ لم أذنب ... نفّذتُ إرادة أوطاني

* * *

وهنـــالــك هَمسٌ يــزعجني دومـــاً، ويـنــاشِــدني الثمنـــا
ويقـــول عســاك بمـــا أسلفت ذكـــرتَ الأمـــة والـــوطـــنـــا
وحمـــلت الـعـــبء بمـــقـــدرةٍ وهجـرت الـراحة والـوسنـــا
فـــأكـــاد أجيب وبي خـجــلٌ الكــلّ تـلاشى؛ غـــير «أنـا»

* * *

والمـــوجـــة مـــا زالت غضبى وأنـــا وشراعـــي لم نُـــرسِ
والنـــاس تسـير كـــما كـانت؛ طفــلٌ لم يحفـل بــالـــدرسِ
وقصـــارى الأمـر أقـــولُ لكمْ في همسٍ لــو أَجْـدَى همسي
أعـــظم بـــالــثـــورة لـــو أنّي فـجــرتُ الـثـورة في نـفسي

* * *

وطـويت الصفحـة في صمتٍ فـــالصـــورة تبـدو مهـــزوزَهْ
وتـــركت الســـطح لفارسه فـرســان الســطح لهم ميـزَهْ!
وذكـــرت الخط. . فـــأرعشني وتـــذكـــر تـــربي إبـــريـــزه
وطـغى الــبركـــان وثـــورتـــه قـد كـانت رفضـاً وغـريـزهْ.

* * *

ولـــدى «سينـــاء»، وفي «الجـــولان» نـكسـتُ الهـــامـــة إجــلالا
ونفضـت الـــزيف بـــأجمـعـــه ونـــسيـــتُ يمـيـــنـا وشــمالا
ووقـفت. أحيّـي بـخشـــوعٍ في الجبهـــة قـــومي الأبـــطالا
إن مـــاتـوا ثَمَّ فقــد تـركـــوا في كـــل فـــؤادٍ آمـــالا

* * *

قـــد كنت أســـافــر في تـيــهٍ والـــدرب يمـــزّق أقـــدامـــي
معصـــوب العين بـــلا أملٍ لم أدر ورائـــي وأمـــامـــي
واليـــوم اليـــوم بمـــا بـــذلـــوا أمشي والـشعـلةُ قـــدّامـــي
ويـــطول الـــسير فلم أعبـأْ فـــالنصر يـداعب أحـــلامـي

آمنت بقومي تاريخاً مهما كانوا وكما كانا
آمنتُ بأرضي أنهاراً تجري بالخصب وكثبانا
من أرض «الشام» إلى «نجدٍ» فإلى «بغداد» و«تطوانا»
آمنت بهم، وبوحدتهم فكراً، شأواً، أو وجدانا

* * *

وكفرتُ بغرسٍ لم يُسْقَ، لم ينم بأرضٍ عربيّهْ
لم ألمح فيه على قرب نفحات البيد الوحشيَّهْ
وأنا من عاش بآفاقٍ ليست في الصفحة مرويّهْ
وبعدتُ بعدت، ولكني آمنت أخيراً «بغُزيّهْ»

الهامش...

يا نبع بلادي لا تبخل فأخي في الجبهة ظمآنْ
يا زرع بلادي لا تخلف فأنا من حولك غرثانْ
يا رب الأسرة فلْتُنصفْ الكل بسوحك اخوانْ
أولا: فأقولُ بلا وعيٍ بركانٌ بركانْ بركانْ؟

الجزائر ١٩٧٥ م

(٦٢)
لماذا أخاف من الموت؟

وقال وهو ينتظر الاستشهاد في سجن نافع سنة
١٩٤٨ م / ١٣٦٧ هـ إثر فشل ثورة الدستور :

حنانيك يا سيف المنية فارجعِ ، ويا ظُلة الموت الزؤام تقشّعي
ووالله ما خفت المنايا وهذه طلائعها منّي بمرأىً ومسمعِ
ولكن حقّا في فؤادي لأمتي أخاف إذا ما متّ من موته معي

(٦٣)

الأمير عبد اللّه بن عبد العزيز والمطر

لما زار ابراهيم الحضراني الطائف سنة ١٤٠٧ هـ صادف وصول الأمير عبد اللّه بن عبد العزيز ولي عهد المملكة السعودية إليها مرافقاً لهطول الأمطار الغزيرة فقال وأنشدها في ديوانه :

قالوا أطلّ ولي العهد فابتهجت ... أرض الحجاز به والبدو والحضرُ
فقلت إن ولي العهد طلعتُه ... ميمونةٌ صاحباها الخيرُ والظفر
ثلاثةٌ سعدت أرض الحجاز بها ... شهر الصيام وعبد اللّه والمطرُ

* * *

(٦٤)

إلى أين؟

وله: ونشرتها جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٨٦/٢/١ م.

«صعدتُ الجبالَ وجبتُ الأوديـة، وجلتُ هنا وهناك» .

وبحثتُ عماذا لقد أوشكتُ أن ... أعيا ، وأوشكتِ الخُطى تتعثّرُ
لا شيء غـير رؤىً تمـرّ عتيّـة ... صـارعتها فـوجدتهـا لا تُقهَـرُ
تهوى الشّموخَ ولا شموخ وإنّما ... وهمٌ عـلى طول المـدى يتكرّرُ
قل للألى جاءوا الحياة جلامداً ... كصخورها والصخر قد يتفجَّرُ
إني نـزلت بهـا كبسمـة زهـرةٍ ... ما زال يلفحها الهجيرُ ويصهرُ
ونزلت ساحتها ارتعاشة موجةٍ ... ظلّت عـلى شـطآنها تتكسّرُ
قـدر منيت بـه ولمّـا ألتمسْ ... منه الخلاص ؛ لأنني لا أقـدرُ

* * *

(٦٥)
صدى الشوق

أنتَ في النهر ولم ترو غليلا ... عجباً كيف تروم المستحيلا ؟
آدك الهمُّ ومخلوق لَهُ ... قلبك الخفّاق فاحمله ثقيلا ،
ما سوى الدمع له من سلوةٍ ... فابكِ إن شئت به رسماً محيلا
أو صديقاً نازحاً شطت به ... غربةٌ نفساً وأرضاً وقبيلا ،
ونهايات المآسي مثلما ... ذقتَها خلاً هوى ينسىَ خليلا
فآمرؤ القيس بكى إذ آدَهُ ... حمل هم مثلما آد «جميلا» .

فرجاءً لا ترجّي المستحيلا ... زمناً يبسم ، أو ظلاً ظليلا
ما تراهم قبلنا كيف مضوا ... يتشاكون رعيلاً فرعيلا . .
زمن يجني على أبنائه ... وحياة عوّدت أن لا تنيلا
تجلب الهمّ على أبنائها ... وهراء ما رووا ؛ قالاً وقيلا
إنّ محبوباً جفا ، أو حاكما ... جار ، أو عبئاً غدا اليوم ثقيلا

هي دنيا النّاس ؛ همٌّ وأسى ... جعلت مما نُصَالِيه دليلا . .
وأليف الشوق فيها خافقي ... فلكم ودّع بالدمع خليلا
حيث لم تبق بجسمي ذرّةٌ ... لم يجرّعها النّوى داءً وبيلا ،
يكمن الشوق بقلبي كاللّظى ... كلّما ودّعت لي إلفاً نبيلا .

* * *

كنتَ يــا أحمـد لي إلفــاً كـما كنت لي في ساعة الرعب زميلا[1]
لست أنسى منك نجوى بسمةٍ مسحت همّاً أعانيه طويـلا . .
لستُ أنسى منك ذوقاً كـان لي ولقلبي بلســماً يشفي العليـلا
لستُ أنسى لست أنسى فكـرةً كم أنارت في دجى الخطب سبيلا
وزميــل شــطت الــدّار بــه هل سألقاه فان الصبر عيلا؟[2]
ان يكن عنّــا بعيــداً إنّــه في النوى حلّ قلوباً وعقولا ،
راهب للحــرف في محــرابــه ما نأى عنه مساءً أو مقيـلا
نحن منــه ولــه وهــو لنـا نفحــة يخلق فينا المستحيــلا
مــا سكبنــا دمعنــا إلاّ بــه وكفى الحرف لمشتاق بـديـلا

صنعاء ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م

(١) المخاطب الشاعر أحمد بن عبد الرحمن المعلّمي .
(٢) الزميل هنا هو جامع الديوان أحمد محمد الشامي .

(٦٦)
الحداة والقافلة . !

ومما راسلني به من الشعـر هذه القصيـدة في ١٩٨٧/١٠ .

وهَنَتْ في ساحةِ الشّرب يَدايا ... ووَهتْ مِنْ طول مَسراها خُطايا
حينَ كَانَ الدَّربُ وحْشيّ الرُّؤى ... أينَما يَمَّمتُ هولٌ ، وبـلايـا ،
كنتُ أحدوها ؛ ويحدوها معي ... صاحبٌ لي في السُّرَى جمَّ المزايا . . .
يرصُدُ السَّيرَ . . . فلا يرضى لَهَا ... مقلة تغمض ، أونفساً . . تَعَايا . !
لو تَرانا والدّجى من حولنا ، ... يقذفُ الرعب ، ويقتاتُ الحنايا
والمغاوير ، وقَد شَطَّتْ بهم ... هِمَمٌ ؛ إمَّا المُنى ؛ أو فالمْنايا
يَتهاوَوْنَ صريعاً يَلتَقي ، ... بصريعٍ ، وشظَايا بشظايا . . . !
تحضنُ الموت وفيها نَخْوةٌ ... تتحدَّى ـ آخر الدهر ـ الرَّزايا
ويطولُ السَّيرُ ما منْ قبسٍ ... يتراءى ؛ غير أشباح الضحايا
ونفوس هَاهُنَا ، أو هَاهُنَا ... تَتَناجَى ؛ يا لأحلام المرايا . . !
طلَع الفجرُ فقلنا لِلأُلى ... حملوا رايتَها : هذي الأمانَهْ
قد غذيْنا سَيرَها مِنْ دمِنا ، ... وحَدَوناها بصبرٍ وركانَهْ
والسُّرى يَصْرخ في أعماقنا : ... غفوة . كلّ فريق وزمانَهْ !
كيف نَنْسى حُبَّهَا وهي الَّتي ؛ ... في النُّهى ذِكرٌ وفي القلب ديانَهْ ؟

آه لِلأيَّام تَغْتَال الرُّؤى كلّ حالٍ بِبَنيها حائِلَهْ .!
حكْمُها يَجْري على ما تَشْتَهِي لاَ على ما تَشْتَهيه السَّابِلَهْ ،
تعكس الأشياء حتّى يغتدي عاليَ الشيِّء يُضاهي سافِلَهْ
مَنْ مُعيني . . وأنا أجْتازها في عراكٍ ؟ وهي حولي صائِلَهْ . ؟!
أرفعُ الصَّوتَ فمنْ يَسْمعُني ؟ أين أنتم يا رفاق القافلهْ ؟

(٦٧)

وداع صَديق

«اجتمع الشاعر ذات ليلة من ليالي رجب سنة ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م مع زمرة من الأصدقاء بتعز لوداع السيد الأديب عبد اللّه بن يحيى الديلمي فقال الشامي مداعباً «سر على طائر السعود» وأجاب الشاعر ابراهيم الحضراني: «وعسى اللّه أن تعود» وما زال الشاعران يتبادران اللفظة تلو اللفظة ، والبيت بعد البيت حتى تمت هذه القصيدة» :

سِرْ على طائر السعودْ وعسى اللّه أن تعودْ
ونرى ما يَسُرُّنا منك يا زينة الوجود
زَورة تذهب الأسى ويُدَاوى بها الصدودْ
سترى في «ذمار» ما يجلب الأُنْسَ والسعودْ
وغزالاً مـهـفـهـفاً ناعم اللَّمْس والخدود
فاهْتَصِرْ غصن قدّه وارتَشِف ثَغْره البَرود
كُنْ هَزَاراً مُغَرِّداً فوق رُمَّانة النهودْ
والتمِسْ في جمالِهِ نغمة الفنّ والخلود
وأديباً مثقَّفاً... هو باقٍ على العهود

تنتشي من حديثه نشوة المغرم الودود
ما أحيْلى صفاته لا حقودٌ، ولا لدودْ

* * *

يا صديقي إذا وَصَلْتَ «ذماراً» بعافيَهْ
فاذكرن عهدنا الذي قد حمدنا لياليَهْ
حين كنّا جماعَةً من أديبٍ وراويهْ
وصديق تروقنا نكتةٌ منه غاليَهْ
وطبيب، بنانُهُ للمصابين شافيهْ
وخطيبٍ، وشاعرٍ مبدع كلّ قافيَهْ
وكريم سحابه لذوي البؤس هاميَهْ
ومحبّ مُتَيَّمٍ بين جَنبيْه هاويَهْ
وضلوع حَنتْ على... كبدٍ منه داميَهْ
انّ حَفْلاً يَضُمُّهمْ خير حفل «اليمانيَهْ»
فَلْتَعُدْ نحوهم لكي ترسل الصوتَ ثانيَهْ

* * *

فالوداع الوداع يا خير من رجَّع النشيد
كنت فينا مغرّداً تودع السحر في القصيدْ
كل يومٍ يروقنا خلقك الزّاهر الوحيدْ
ولقد كنت بلبلاً تتغنى بما نريدْ
طائراً صادق الهوى هو في عصره «فريد»
كل قلبٍ من النوى بعدَهُ مكمَدٌ عميد
إيه لا تَنْسَ ودّنا لك أو عهدنا العهيد
وابلغَنْ كل شاعرٍ صادقٍ، ودَّنا الأكيدْ
نحن اخوان كل ذي فطنة شاعرٍ مجيدْ
جمعَتْنا عواطفٌ ألّفَتْ شَملَنا البديد

(٦٨)
ضحايا الحرب

وله:

أيا مَنْ يرسل الدمعَ سخيناً طرفها الباكي،
على واحدها البكر.. رمته كفّ سفّاكِ
دعي النوحَ فما يجدي بأن تدمع عيناكِ
هو القاتل والمقتول، والمشكوّ والشّاكي
لماذا حمل السيفَ لماذا لبس «الكاكي»؟

* * *

ألا يا أمَّهُ الثكلى ويا والدهُ المحزونْ
لقد أودى وإن الذنب في نفسيكما مخزونْ
وما هو غير تعبيرٍ لشيطانكما الملعونْ،
أيُبكَى واحدٌ أودَى، ولا يُبكَى على مليونْ؟!
إلى النفسِ، إلى القلبِ، إلى المتمرّد المجنونْ!

* * *

تعد النّارَ يا إنسان، والصّاروخ و«الذرّه»
وتذكر من طوته الحرب بالحسرة، والعبره
فما أسخفها دعوى، وما أكذبها فكره..،

على نفسكَ فلتبكِ على طينتك القذره،
على الشرّ، على الحقدِ، على الغشّ، على الأثره.

* * *

لقد آن بأن تصحو، وأن تفهمَ يا إنسانْ
على لعلعةِ الذرّة، أو قعقعة الصوّانْ
وان تنتزع الشرّ، وأن تستأصل الطغيان
وتبحثَ في حناياكَ، عن الخير، عن الإيمانْ
عن الرحمة توليها عن الصفح، عن الاحسان

* * *

(٦٩)

عبد اللّه العزب

وقال يرثي الأديب القاضي عبد اللّه العزب
المتوفى بتعز سنة ١٣٦٤ هـ :

هو نجمٌ هوى ونصلٌ تحطّمْ ... وبناءٌ من الفخار تهدَّم
ويحكم أيّها اليمانون هذا ... كارثٌ في البلاد يبكى له دمْ
لا تقولوا: فردٌ مضى فلعمري ... إنّها أمةٌ ، وجيشٌ عرمْرمْ ،
إن نفس العظيم تحمل ما لم . . ... يتَمكنْ من حملهِ العددُ الجمْ
سر إلى الخلد أيها العالم الفذّ ، ودعنا من الأسى في جهنّمْ
سر إلى حيث ينتهي الخير والشرّ جميعاً ، ويستوي المدحُ والذمّ ،
وتموت الأحقاد والحب يخبو ... والأماني جميعها تتحطّمْ ،

* * *

كم تمنّيت قربكم، والليالي ... شأنها في العباد أن تتحَكّمْ ،
لم تكن غير ساعة جمعتنا ... وستبقى في القلب ناراً تضرّمْ
يحمل الشاعر المآسي ويمشي ... وحده في الظلام يبكي وينظم
ربّ خطبٍ تشاغل الناس عنه ... بات دون العباد عنه يُترجِم
هو عند الكثير خطب يسيرٌ ، ... وهو في قلبه عناء مجشّم !
لستُ أنسى هذا المصاب ولا ما ... حلّ بالشعب من مصاب تقدّم

فمصاب «الوريث» أمس وخطب «العزب» اليوم ضجةٌ تُسمع الصمّ[1]
كم ظلمنا نفوسنا حين لم ندر قديماً أن المقادير أظلمْ
وأمْتنا شعور قومٍ ونبدي نبرات الأسى على اللحم والدمْ .

* * *

(١) يقصد العالم الأديب السيد أحمد بن عبد الوهاب الوريث رئيس تحرير مجلة «الحكمة اليمانية».

(٧٠)

إلى الصديق الراحل
الشاعر محمود حسن اسماعيل

قد رحلوا ؛ لم يضربوا موعدا ... إن عـزائـي أن أراهم غـدا
مـا بعدُوا عنّي سـوى غمضـةٍ ... وتلتقي الغـايـة بـالمبتـدى
محمـود قـد كنّـا عـلى الفـةٍ ... صفـاؤه ليس لـه من مـدى
كنت تخـاف المـوت لـكنّـني ... قد صرت جلداً لا أخاف الردى
وكيف ؛ والأحبـاب في أفقه ... مضـوا ؟ تواروا فـرقداً فـرقدا
تـواردوه واحـداً واحـداً ، ... مِن الـوَفَـا أَن نعشق المـوردا
الشـاعـر الفـذ الـذي أنشـدا ... وبلبـل الـروض الـذي غـرّدا
الصوت ؟ أنت الصوت رددته ... لحناً سماوياً ، ونحن الصدى
«محمود» ، هل عشت سعيدا وقد ... غنّيت للشعب لكي يـسعـدا
أوّاه مـا أظـلمهـا شرعـةً ... أن يجهـل الشعب وأن يجحدا
«أين يفـرّ» المـرء ؟ قـد قلتهـا ... واليـوم لاقيت جـواب النـدا
إلى رحـاب لا تـرى عنـدهـا ... عبـداً يقاسي الجـور أو سيـدا
ولا ، ولا ، كلا ، ولا لا ، ولا ... مـا يجـرّ النفسَ أن تحـقـدا
فهل رضيت الحلّ يا سيدي ؟ ... فـإنني أرضـاه لي فـاشهـدا

* * *

الكويت

(٧١)
جيل التحدي

وقال يرثي الشاعر عبد اللّه عبد الوهاب نعمان .

كادت شموس الجيل أن تغربا ... وأوشك الينبوع أن ينضبا
جيل تحدّى الهول مستبسلاً ... وصيّر الحقّ له مطلبا
فهل درى الموت وقد غالهم ... أيّ سيوف فلّ منها الشبا ؟
أخي أبا مروان ؛ كم هزّني ... صمتك كم حدّث ، كم أطنبا
وقال : ما الشوط سوى ملعب ... لو تسمح الأيام أن نلعبا
وقال : ما الكل سوى باطل ... يذهب ؛ إلّا الخير لن يذهبا
وقال : بالإبداع مجد الفتى ... أمات ، أم شرّق أم غرّبا
أخي أبا مروان نم هانئاً ... لا عاتبا قط ، ولا مُغْضَبَا
الروض لم تذبل أزاهيره ... والحقّ ما جف ولا أجدبا
قل للشهيد القيل : إن الحمى ... ما خيّب الظن ولا كذّبا
ان الدم المسفوك في «حجةٍ» ... قد سمّد الأرض وقد أخصبا
«صنعاء» للروّاد مفتوحة ... والماء في «ذبحان» والكهربا

* * *

أخي أبا مروان صفحاً إذا ... كان يراعى في رثائي كبا

أنت مقيم بيننا لم تمت والنور في مشكاته ما خبا
تصغي لك الخضراء «سيوونها» «بيحانها» «صنعاؤها» «كوكبا»
وحّدت بالفرحة ما بينها ووحدة الفرحة لن تغلبا
واجتمعا ؛ فلْنَدْعُ ؛ لا فُرِّق الأحباب بعد اليوم «أيدي سبا»

* * *

صنعاء

(٧٢)
على قبر جوته

أنا على قبرك يا شاعري   أستلهم الفنّ وأذكي الشجونْ
وتعبر الذكرى على خاطري   في لحظات تتخطّى القرونْ

* * *

أنا هنا جئت من المشرق   أزور مثواك بأقصى الغروبْ
من قال إنَّا قط لا نلتقي؟   قد جَمَعتنا خفقاتُ القلوبْ

* * *

أنا هنا حيث ترى مقلتي   مجال عينيك النديّ الفسيحْ
حيث تناجي السفح في رقة   وحيث تدعو القلب أن يستريحْ

* * *

هنا أرى السحر الذي ألهما   وألمس الحسنَ الذي تيّمك
في الأرض، في أبنائها، في السما   في كل شيءٍ سِرُّهُ كلَّمكْ

* * *

أهيب بالمقلة أن ترعوي   عن غيّها، والقلب أن يستفيقْ
فقد كفى الأحشاء ما تنطوي   عليه من جرحٍ وحزنٍ عميقْ

* * *

جئتُ وفي قلبي جراح الوجودْ وفي جفوني قلق الراحلِ
أودّ لو زالت أمامي السدودْ أو تستقرّ النفسُ في الساحلِ

* * *

الحسنُ يا شاعر لـمّا يزلْ كمثل ما شاهدتَ أو أروعا،
والناس كلّ الناس تهوى العملْ وتمقت الخنجر والمدفعا،

* * *

والموكب الفخم الذي يفزعُ قد اختفى والنظرات الغضابْ
لم يبق إلّا كلُّ من ينفعُ أو يحملُ الفاسَ ويبني الخرابْ

* * *

بمثل هذا هزموا الماردا وحقّ للشيطان أن ينهزمْ
بالنفس تسمو؛ بالنّهى صاعدا، بالصدق في افعالهم والشيمْ

* * *

(٧٣)

الشهيد عبد اللّه بن محمد الوزير

وقال يرثي الشهيد الشاب عبد اللّه بن محمد الوزير الـذي أعدم في حجـة سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .

عليـك وإلّا فـالبكـاء حـرامُ ... وفيـك وإلّا فـالـرثـاء أثـام ،
لأجلك سالت في الأماقي دموعها ... وحـلّ زفـيرٌ في الحشـا وضرامُ
ونـاح على فـرع الغصون مـطوّقٌ ... وسـحّ بهتّـان الـدمـوع غمـامُ
لقد كنت سيفاً في يد الحق لم يشن ... غرارٌ له يوم النزال سهام
وقد كنت أمضى في الأمور عزيمةً ... من الليث فيه سورةٌ وعرام
ألا في سبيل الله يا بن محمدٍ ... فكم طاح في هذا السبيل كرام
سبيل «علي» و«الحسين» و«جعفر» ... و«زيد» عليهم رحمة وسلام

* * *

ولم أنس يوماً سلّطت في صباحه ... كلاب على ليث الشرى وسوام
أحاطت به تلك الزعانف مثلما ... أحاط بهالات البدور ظلام
وقام مشوقاً للمنايا كأنّما ... به للمنايا لوعةٌ وغرام
هو الموت أشهى من جنى النحل طعمه ... إذا الوغد يعلو والكريم يُضام

* * *

أشار إلى «الشيخ» الوقور وقد علا هنالك للموت الزؤام قتام
وطاشت عقول الحاضرين لموقفٍ تفتّتُ أكبادٌ له وعظام
أب مثل «إبراهيم» يزجي ذبيحه إلى الموت من غلف القلوب طغام
فلم يخش «إسماعيل» إلا حزازة لها بين أضلاع «الخليل» ضرام
فما خطرت في باله غير كلمةٍ تقاصر عنها للمقول كلامُ . . .
أبي لا تخف واصبر فسوف يضمّنا جميعاً بدار المتقين مقام
وسار عليه من «عليٍّ» جلالةٌ تلوح ومن سيما «الحسين» وسامُ
هناك ثوت في كل قلبٍ كآبة وفارق أجفان العيون منام
وناح على «النفس الزكية» مصحف وحنّ إلى الليث الجسور حسام
لئن فارق الدنيا «هلالٌ» فنوره لعمرك في أفق الخلود «تمامُ»

* * *

إلى الخلد يا زين الشباب فإنما هو الحزن خلف والسرور أمام
يحيّيك من آبائك الغرّ عالِمٌ ويلقاك بالوجه البشوش إمام

* * *

(٧٤)

سفينة قد مات ربّانها

من قصيدة قالها في إعدام المشايخ الذين خرجوا على الإمام أحمد سنة ١٩٥٩ م ومنهم حسين ابن ناصر الأحمر وابنه حميد بن حسين .

أين مضى السؤددُ والمفخرُ؟ وأين اين الملك يا «حمير»؟
وكيف ذلّ العرش من بعدما دان له الأسود والأحمر؟
أين أسود من بني «يعرب» زها بها «غمدان» و«التعكرُ»؟
وأسد غاب في ذرى «ناعط» ومفخر في «خَمِرٍ» يبهرُ
والعرش.. أين العرش في «مأربٍ» وحوله أسد وغى تزأر؟
كأنما «الخضراء» من بعدهم وقد تولّى عيشها الأخضر
سفينةٌ قد مات ربّانُها، أو غابة فارقها القسورُ
بكى لها «حسان» في قبره وضجّ حزناً «تبّع» الأكبر

* * *

(٧٥)
الرئيس جمال جميل العراقي

وقال يصوّر استشهاد الرئيس جمال جميل
بصنعاء في رمضان / ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م
ويرثيه بعد مرور عام على استشهاده :

حتامَ يا وطني أراك تُضَام ... وعلى جبينك تعبد الأصنام؟
وإلام يرتفع الطغاةُ ويعتلي ... عرش «التبابع» معشرٌ أقزام؟
وتظل يا مهد الجدودِ مُمزّقاً ... بيد الخطوب تدوسك الأقدام
حتّام يمضي للرزيّة والأسى ... عامٌ، ويأتي بالفجيعة عامُ؟
اليوم بالزفرات عام قد مضى ... ولّى تشيّع نعشه الآثام،
ولّى وقد طعن السعيدة طعنةً ... برجالها الأحرار لا تلتام
نصبت على الأعواد فيه جهرةً ... جثثُ الأسود كأنها أغنامُ.

* * *

«أجمال» ذكرك إذ يعود تعود لي ... بين الجوانح زفرةٌ وضرام
عجباً لخطبك لم ترع من هوله ... دولٌ، ولم تُنكس له أعلام؛
وتهزّ أعواد المنابر بالأسى ... هزّاً، وتسكب دمعها الأقلامُ
خرجوا يقودون «الرئيس» كأنه ... ملكٌ وهم حول الرئيس سوام
أو أنه القمر المنير يزفّه ... نحو المغيب من الظلام ظلامُ

شاهت وجوه الظالمين حياله وبدا الرئيس وثغره بسامُ
ومشى إلى الفردوس مشية مؤمنٍ يحدوه للأجل المتاح غرامُ
ورنا إلى دار العدالة قائلاً: «يا مهبط الشورى عليك سلام»
لم يُنسه الحقَّ الذي من أجله وهب الحياة الموتُ والإعدام
حتى إذا مثل الهزبر وأحدقت فرقٌ مضلّلةٌ، وسُلّ حسامُ
والموت أرجف والقضاء فأوجفَت منه القلوب وطاشت الأحلام
وتطلّع التاريخ يكتب كلمةً شرف له لو حازها ووسامُ
وتهيأ الملك الطهور يمدّه من ذي السماوات العلى إلهام
مدّت إليه من اللئام بوادرٌ عن مثلها يترفع الأنعام
وسطا على الضرغام، . . . إذ صار رهنَ قيوده الضرغام
هلاّ برزت إليه «إسماعيل» إذ لا الكف موثقة، ولا الأقدام
قالوا تلبّس بالجريمة ويحكم أإلى الملائك ينسب الإجرامُ
زعمٌ لعمري يسخر التاريخ من ترداده، وتقهقه الأيّامُ؛

***

«أجمال» ما بال العروبة لم تُرَعْ لما تحطّم سيفها الصّمصام
سكتت أسود الرافدين وأحجمت حيث السكوت يعاب والإحجام

و«النيل» لم يظهر أساه تحسّراً مما عراك ولم يضجّ «الشام»
حقرت مصابك ويلها؛ أم أنها حسبته جرحاً ما له إيلام؟

قد كنت واحدها الذي في صدره كمن الإباء وعَشْعَشَ الإسلام

فتكاتك الغرّاء لا عزم إذا ذكرت يقاس بها ولا عزّام

***

ومنها:

لا تعجلوا فبكل رأس نزوةٌ ... وبكلّ صدر ثورة وضرام
لا تأملوا في أن يتم لغاشمٍ ... في الشعب حكم أو يسود نظام
ومراجل الأحرار تغلي نقمةً ... وبها إلى تلك الدماء أوام
تاللّه أسكن، فالسكون جريمة ... لا أرتضيها والرضوخ حرام

سجن حجة ١٩٤٩ م ١٣٦٨ هـ

(٧٦)

حافظ وشوقي

ألقاها في حفلة الذكرى الخمسين لوفاتهما
بالقاهرة والتي أقيمت سنة ١٩٨٢ م .

حرسا الروض وهو ريّان حالِمْ واعدات زهوره والبراعمْ
حرساه؛ جذوره تضرب الأرض ، وأغصانه اللدان النواعمْ
ملء قلبيهما حنين لماضٍ مشرق ، وانتظار خير قادم

* * *

سألاني : هل أخلف الروض أم كان له موسمٌ كأغلى المواسم؟
لم أجب بل صمتُ حين تولّى الردّ من مقلتيّ دمعٌ ساجم
ويك ماذا عرى؟ أصوّح نبتٌ؟ أيّما حاصب؟ وأيّ مداهم؟
أجيوش «التتار» عادتْ و«جنكيز خان» من بينها يدك العواصم
أ«جمالُ» السفاك عاد إلى الشام؟ يحز الطلى ويفري الجماجم
و«دنشواي» هل «دنشواي» عادت؟ يا لأيامها الطوال القواتم
قلت كلّا ؛ لا ذا ولا ذاك قد عاد ؛ ولكن هناك هول حاطم
حكم الشر ، أو فقل حكم الفرد ، وأصل البلاء فردٌ حاكم.

القاهرة ١٨/١٠/١٩٨٢ م

(٧٧)
يا صديقي...

وقال يرثي الشاعر عبد اللّه حمران :

أنا ميتٌ؛ فمن يقول رثائي   بعـدمـا غيّب الردى أصدقائي؟
كيف ارثيهمو بشعري واني   لجديرٌ من بعدهم بالرثاء؟
مثخن؛ كلّما رمى الدهر سهماً   وهوى واحدٌ تسيل دمائي،
يا أبا خالدٍ؛ ويعصر قلبي   أن أنادي فلا تجيب ندائي
كلّ شيء يبكي عليك، ولكن   بدموعي أنا، بعظم بلائي
ها هو الهاتف الصموت حزينٌ   مرهف السمع ممعن الاصغاءِ؛
يرقب النبرة المشعّة نبلا   يا لشوقي لنبرة النبلاء؛
قال لي: ما له تغيّب ذاك الصوتُ عنّا؟ أريبة في وفاءِ؟
قد بلوناه؛ فهو كالذهب الإبريز.. في كلّ شدةٍ ورخاءِ
لم تغيّره نعمةٌ، لم يطأطىء   رأسه للكوارث الهوجاء،
ذرفت دمعها الجبال عليه   وهي رمز الشموخ والكبرياء
سألتني عن صوته الحرّ إذ لم   يبق في جوفها سوى الأصداءِ
هزمت في جبال «ردفان» في حرب الأعادي قذائف الأعداءِ،
ولقد كان في يد الحق سيفاً   يمنيّ الشّبا، سريع المضاءِ؛
لم يجامل مستهتراً، لم يهادن   مستبداً، لم يصغ للعملاءِ؛

يمنيّ الهوى، وليس بحرٌّ كلّ من لم يكن يمان الهواء؟

* * *

يا صديقي ؛ لم يبق لي الدهر دمعاً نضبت أدمعي وجفّ بكائي
كم ذرفنا منه لرزيءٍ مقيم وصببنا منه على إثر نائي.
فإذا لم أنح عليك بدمعي فالقوافي مدامع الشعراء،
كنت لي واحة افيء إليها حين تشتدّ لفحة الرمضاءِ
وسواي الكثير حولك حشدٌ كاحتشاد الظمآء حول الماءِ
فبئيس أسعفته بنوالٍ وغريق انقذته برجاء..
هكذا هكذا التقى لا جهول حاقد، أو مثرثرٌ أو مرائي،
أقرب الخلق للإله أناس صبروا في البأساء والضرّاء
ثم فاضوا لمن يعول حناناً كحنوّ الآباء للأبناء،
فإلى الخلد سيدي، وإلى الجنّة بين الأبرار والشهداء.

(٧٨)
المجد للنار

وقال:

حدّثي يا نجوم . . يا أرض يا شمس وقُلْ لي: من أنت يا صرصار؟
من أنا؟ لست تعرفين فإنّي يا تفاهات ريحك الجبّار
قد ذروناك يا رماد هباءً ولك المجد كلّه يا نار

* * *

(٧٩)
لو. .

وله:

لو أنّني قد ذكرت اللّه مجتهداً كما ذكرتك يا فتّانة النظر
لكنت أعلى من الأبرار «منزلة» وكنت أعظم مبعوث إلى البشرِ

* * *

(٨٠)
أعلى القمم

وله هذا المفرد :

لا أحب العيش إلّا قمةً إن تفت فالموت أعلى القمم

* * *

(٨١)
رسالة

بعثها من غزة إلى كل محارب عربي :

هاكِ يا نسمة الصباح فؤادي فانثريه على سفوح الروابي
من مغاني الخليج حيث ربوع القوم.. حتى محيطنا الصخّاب .
انثريه.. انثريه يا نسمة الصبح بما فيه من منى ورغاب
رفرفي كالملائك الطهر واجري في المغاني كالجدول المنساب.
يعشق الزهر والندى ويشيح الرأس كبراً للعارض التسكاب

* * *

عربيٌ أنا؛ وكلّ كريم.. عربي من أمّة الأعراب
وأخي في المنى وإن يعرُ خطبٌ كان فيه ترسي وظفري ونابي
كلّما شطت الديار هفا القلب إليه في رقّةٍ وتصابي
يا أخي؛ والأخ المقاطِع لا ينفك ادنى من واصل الأصحاب
سوف أطوي على ودادك قلبي وأغذّي بنوره أهدابي
آسياً جرحك الأليم وإن لم ترع حقّي يوماً ولم تدرِ ما بي؟
فاللّيالي تعيد كل نَفُورٍ وتضم الأحباب للأحباب ،

* * *

يا أخي من دم الضمير الذي أهريق عمداً أخط هذي الرسالَهْ
من «فلسطين» وهي صوتٌ مدوٍّ يصم الناس كلّهم بالنذالهْ
اليهود الذين داسوا الرسالات على أرضها وداسوا العدالهْ
وأدلّوا على الدناءة في الناس بما اجرموه ألف دلالَهْ؛
وشريك للصّ من بارك اللصّ وأعطاه للجريمة آلَهْ
وأنا يا أخي وأنت جديران بلومٍ نحني الجبين حيالَه
ما رأى الناس قبلنا أهل بيتٍ دهمته اللصوص تبغي زوالَهْ
وهمو سادرون في الخلف يا للعار، يا للغباوة القتّالَهْ
ما اختلفنا على كبير يوازي الخُلفَ؛ هيَّا.. فحطّموا أغلاله

* * *

قل لِمَن لم يزل يحيك لنا الكيد ويولي اليهود منه حنانا،
يشهد اللّه أننا ما أتينا مُنكراً مثلهم، ولا طغيانا،
أمِن العدل أنّنا نخذل المسلوب يوماً، وننصر القرصانا؟
يسكن الدار آمنا غاصب الدار، ونأوي الرمال والكثبانا؟
أفهذي شريعة العصر يا قوم؟ كفانا زوراً؛ كفى بهتانا؟
لا تنم أيّها اليهودي إني سوف أبقى على المدى يقظانا؟
سوف آتيك في النهار شواظاً من جحيم،وفي الدجى شيطانا
وأبي في الثرى يهب غضوباً لاَوِياً حولك الثرى أفعوانا
والربى والرمال إن جدَّ جدٌّ أصبحت كلّها له أعواناً.

(٨٢)
الناس

وله في قصيدة :

همُ الناس لا يحفظون الجميلَ... ولا يشكرون لمسدٍ يدا
فكن في قلوبهم رهبةً لكيما تكون لهم سيّدا
ولا تبنِ أمراً على حبّهم فيذهب جهدك فيه سُدى
هم الناس ما عبدوا في القديم عظيم النوال كثير الجدى
ولكنّهم عبدوا المفزعات، وباتوا لرهبتها سجّدا

(٨٣)

أنا في العراق

أنشدها في مهرجان الشعر المنعقد في العراق سنة ١٩٦٤ م :

آن أن تلثم الشفاهُ البقاعا بعد أن هزّت القلوب سماعا،
لست أنسى أخي وقد هاجه الوجد، فغنّى فأطرب الأسماعا،
بعيون المها على الجسر والجسر ببغداد كم أثار التياعا!
وأبي يذكر «العراق، فيهتزّ اشتياقاً، ويستطير شعاعا،
يذكر «المذحجّي» وهو ينادي في صفوف الوغى القراع القراعا
«وابن قيس» وقد تسامق للمجد فبزّ الأقران كفّاً، وباعا،
وأباة الهوان حين توالوا للمنايا من هاهنا اتباعا؟
ما ذكرنا «العراق» إلاّ قدحنا قبساً في نفوسنا لمّاعا..
ذكريات تقرّب القلب للقلب وتدني على النوى الأصقاعا
ردّدتها الأنسام بين حقول البنّ، لحناً معطّراً ضوّاعا..
يا لقومي إلام تستمرىء الخلف وتهوى تشتّتاً وانصداعا
قهروا كل ماردٍ وأجادوا عندماصارعوا اللّيالي الصراعا..
ليتهم في طموحهم قد أذلّوا نزوات النفوس والأطماعا؟
قدّست شفرة اليماني تبني أنفساً أو تردّ حقّاً مضاعا
قدّست تجمع القلوب على الخير؛ ولا قدّست تثير النزاعا

(٨٤)

تحية واعتراف

وقال يحيّي الوفد الكويتي في اسبوعه الثقافي بصنعاء:

لو تطيق الحروف فيض المشاعر ... لسبا شاعر وأبدع ساحرْ
هذه وردة تُزَفّ اليكم ... وبقايا عبيرها في السرائرْ
ليس كل الصفاء ما يطرب السمع فاعلى منه حديث النواظر
رحّبي يا عرائس الشعر بالوفد هزارٌ يشدو وفكر يحاورْ
إن هذي الوجوه من «قيس عيلان» أطلّتْ ومن مضارب» «عامرْ»
«جلت البيد؛ تُنجب الفَرَسَ الفَذّ، وتأتي بفارس وبشاعر»
يا أحباءنا ولستُ بناسٍ ... طيب أيامنا على سفح «حاجرْ»
حيث ضاقت بنا البسيطة ما من ... قوةٍ تُرتجى، وما من ناصرْ
مثل زغب القطا حواليّ هذا ... «حاتم» مطرقٌ وتلك «تماضر»
فنزلنا الكويت أهلاً بأهلٍ ... واستعضنا مجاوراً بمجاور
نستمد السعود من لطف «سعدون» وجَبر الكسور في ظل «جابر»

(٨٥)
عائد من لبنان

وله:

أنا في الروضةِ لم أقطفْ من الروضة زهرَهْ
وأنا في النّهرِ لم أحظَ من النّهر بقطرَهْ،
كلّ حظي كلما زرتك - يا لبنان - نظرَهْ،
حسنك الأخّاذ لو واصلنا ما كان ضرّه؟
نحنُ قدّسناك أعطافاً، وأردافاً، ونضرهْ
وخشعنا لك في السرّ، وأكبرناك جهرَهْ،
أنت يا لبنان لا تبذل للكادح أجرهْ؛
عائدٌ منكَ. أجلْ عدتُ وفي قلبي حسره..
أذكر «الحمراء» و«الحمراء» في الأحشاء جمرَهْ
والروابي الخضر آهات وأنّاتٌ وزفره،
لستُ يا لبنان من يقنع في الحسن بخطرِهْ
دون أن أعتصر الحسنَ، وأستكنهَ سرّه
وأروّي في عروقي من شذاه كلّ ذرّه.

(٨٦)
الجبال تتذكر

قال ابراهيم : «وأنا أغادر صنعاء إلى أرض الرافدين ، تذكّرت آل المنذر بني ماء السماء وهم يزمعون الرحيل من أرض الجنتين إلى العراق متذرّعين بخراب السد وبمظلمةٍ من بعض ذوي القربى فقلت» :

قلبي مع «بغداد» أم قلبي معي؟ هيهات لا متكلف أو مدّعي
هي صحوة الشوق القديم تكنّها تلك الشوامخ من معاقل «تبّع»
دنيا القلوب وإن تطاول عهدها ما بينها إلّا مسافة أصبع
رحلوا عبيرُ السدّ ملء ثيابهم ، وشموخ غمدان الأبيّ الأمنعِ
لم تُخمد اللأواء جمرةَ بأسهم في الجنّتين تفيّأوا ، أو بلقعِ
قولوا لمضطهدِ القرابة عامداً مهلاً ، فإن البغي مرّ المصرعِ
أنكى من الردّ السريع حزازةً كمنت كمون النار بين الأضلع
السدّ غاضت في الرمال مياهه والأرض تبدو بلقعاً في بلقع
أنّى التفتّ فلا تشاهد هاهنا ، أو هاهنا غير الخلاء المفزع
فلتهجعِ الأطراف ما شاءت إذا كانت رواجف قلبها لم تهجع

* * *

إيه بني ماء السماء سيوفكم ما أُغمدت وجباهكم لم تركع

هذا «الخورنق» و«السدير» وهذه الزوراء زاخرةٌ بكلّ سميذع
«يتوهجون ويطفأون كأنّهم سرجٌ بمعترك الرياح الأربع»
من يُخرج الأقمار عن هالاتها ويقول يا شمس الضحى لا تطلعي؟
إلّا أكن جسداً فإني هاهنا روح تطوف ، تحوم حول المنبعِ
«بمحمد بن يزيد» طوراً تستقي منه السناء ، وتارةً «بالأصمعي»
في كل منعرجٍ أُعانق طلعةً هي في كياني في المحلّ الأرفع
عربية القسمات بين غضنفر متحفّزٍ ، أو عبقريّ مبدع
مجرى سوابقهم ، وجرّ ذيولهم ، وعبير نخوتهم ، بهذي الأربعِ
إن لم تكن للضاد رمز فخاره فالضّاد بالأوهام جدّ مضيّع !

(٨٧)
قـاضٍ

وله:

يا أيها الناس قفوا واسمعوا صفات قاضينا التي تطربُ
يلوط ، يزني ، ينتشي ، يرتشي ، ينمّ ، يقضي بالهوى ، يكذبُ

(٨٨)
درويش

أنشدها في مهرجان الشعر العربي المنعقد
في تونس عام ١٩٧٣ م :

لــو دوى المصنــعُ لم يهــدرْ فـمي بــالــكـلمــاتْ
أو جــرى الـنهــر لمــا أجــريت فـيض الـعــبرات
ولـمـا مــزّقت بـالأظفــار أحشـائي ولا باللكمات
دونـك الآهـات فــاسمعهـا وخــذ منهــا وهــات

* * *

بــين جـنبــي عـنــود مثخن القـلب طعـينُــهْ
الجــوى الــلافـح والآهــات والـشـعــر أنــينُــهْ
هَــدْهِـدوه بـالـرؤى تغمضْ عــلى الشجـو جفــونُـه
كــل قــول جهــوريّ الصَّــوت يُسليــه، يعينُــه

* * *

ودعــوا المــصنــع والمــدفـع عـنهـم يـتـكـلّمْ
رجـل الفولاذ كـالفولاذ لا يشكـو جوى؛ لا يتـألّم
وإذا مــا نـطقت كف امرىءٍ فــالحــرف أعـجم
وحّـدوهُ.. فـلقــد افــلح مــن صــلّى وســلّم

* * *

أوشكت جذوتنا يا صاحبي أن تخمدا
غننا لحناً حماسيّاً يهزّ الجلمدا...
هاته رفضاً متى ما شئت أو قل ما بدا
أنت يا منشد لولا أنت متنا كمدا!

* * *

الدجى يسكب في الآذان الحان الصوامعْ،
والكرى يمزج بالفتنة أحلام المضاجعْ..
لا شراع يرعش الماء، ولا همس مزارعْ
فاطمئني يا خفافيش، ونقّي يا ضفادع

* * *

ليس منّا كلّ من مدّ إلى الأرض يدا
ليس منّا كل من فكّر أن يبني غدا
كلّنا في ملكوت اللّه نطوي الأبدا
كم قطعنا ـ دون أن نرفع رجلاً ـ فدفدا

* * *

ما ترانا كيف نهتزُّ فتهتزُّ المنابرْ
وترى الشارع بالنشوة كالبركان ثائرْ
نحن فجّرناه وجداناً، أكفّاً، وحناجرْ
نفحات قدسيّاتٌ وأحلام مشاعر

* * *

نقضم النّارَ بلا خوف، ولم نقضم سوانا
فتلاشينا.. تلاشينا، وحلّقنا دخانا
وأتينا ننشد الشعر لتثبيت خطانا
ثبّت اللّه خطانا وهدانا وأعانا!

* * *

مـرّ يـومـي مـعـرضـاً عـني بتـيـهٍ وبـكـبرِ
وعـن الأمس أنـا ثـرت عـلى الأمس بـشـعـري
مـن أنـا؟ أين أنـا؟ أيـن مـكـاني؟ لـسـت أدري
أنـا درويـشـك يـا رب، ومـا غـيرك ذخـري
وكـفـاني؛ أنـني أصـبـحـت لا أجـهـل قـدري

* * *

ويحـه لم يـسـتـجب رأسي، ولم تـسـعـف يـدي؟
أتـراه الـداء - يـا لـلـهـول - داء الأبـد
لا تـقـولـوا قـد سرت رعـشـتـه في ولـدي
ودعـوني أزرع الآمـال في دنـيـا الـغـدِ

* * *

تونس / ١٩٧٣ م

(٨٩)
قبلة الشموخ

ألقاها إبراهيم في مؤتمر الأدباء ببغداد ١٩٨٠ :

ما جئت مغترباً إلى بغداد ... الأهل أهلي ، والبلاد بلادي .
لم تشتعل رئتاي من حرّ النوى ... فيها ، ودجلة منهلٌ للصادي
وافيتُ من مهد الأبوّة حاملاً ... أمل الجدود لأنبل الأحفادِ
ما من هوى يرجى وما من مطلبٍ ... غير النهوض لجمع شمل الضادِ
لا بالكلام فقد بلونا أمره ... في كلّ مجتمع لنا أو نادي
ما زادنا إلاّ شتاتاً ؛ إنّه ... ينساب في وادٍ ، ونحن بواد ؛
إني أقول لكم وأنشد بينكم ... لو كان يجدي بينكم إنشادي
إن تكْدِ موهبةُ الشعوب فإنها ... لم تكدِ ثَمّ مواهب الأفراد
من لي به حرّاً يفيض نباهةً ... يحنو حنوَّ أبٍ على الأولاد
منح السفينة قلبه يقتادها ... بضميره ، بذكائه الوقاد
الموج يعبث بالشراع ، فمن لها ... ليعيد رفع شراعها المنآدِ
إن العراق ينوء في أعبائه ... ولديه كل روافد الإسعاد
أنّى ينام الحر ملء جفونه ... وبنو أبيه تئنّ في الأصفاد
فلتسمحوا لي أن أقبّل عنكمو ... بجبين قادته شموخ الضاد

* * *

١٩٨٠/٧/١٤ م

(٩٠)
الشاهد

وكتب ابراهيم : «الشاهد في اليمن ما ينصب على قبر الميت ويكتب فيه اسمه وبعض مميّزاته ، وقد أهديت هذا الشاهد للشهيد العربي في العراق وأنا أطوف حوله» :

عربٌ هذا شموخ العرب ... انّه «سعد»، و «معدي كربِ»
إنها شمسُهُمُ ما غربت ... انه نبعهمو لم ينضبِ
أيها الناس هلمّوا وانظروا ... فهنا يرقد أحفاد النبي
ان في الطف «حسيناً» واحداً ... وهنا ألف حسينٍ عربي
قسماً ما «الشمر» إلا حاقد ... وإذا شئت فرجعيٌّ غبي
يقتل الصبية عن عمدٍ ولم ... يدر أنّ اللّه في قلب صبي

(٩١)
عبلة

قـد جدّدت لي عبلة مـا ذوى ... أو كـاد يذوي بـين اضـلاعي
بمنـظر حـلوٍ يـثـير الجـوى ... ومـنـطق عـذب إيـقـاع
وخـلـف ذا أو ذاك ما لا يرى ... مـن قـوة تسـبـي اشـبـاع
كـلاهما السحـر فلا تـوقـظي ... بـالسحـر يـا عبلة أوجـاعي
كفى كفى مـا قـد تحملتـه ... من مضض الحب، فلا داعي

الكويت ١٩٧٧ م

(٩٢)
الذخر والمعتمد

أنشدها الإمام أحمد وكان لا يزال وليّاً للعهد وأميراً على لواء تعز سنة ١٣٦٢ هـ :

مَن لي - وقد أحببتهم - أن يعلموا ... أنّي بحبّهم معنّىً مغرمُ؟
كم بتّ أشكو للظلام صبابتي ... وأذوب شوقاً والأحبّة نوّمُ!
لم أدرِ حين يعودني تذكارهم ... أَلَظىً تمشّت في عروقي أمْ دمُ؟
تاللّه لا شيء أمرّ من النوى؛ ... إن النوى لِلْمغرمين جهنّمُ
يا مَن رضيتُ بهم لقلبي قبلةً، ... ولكلّ قلبٍ في الهوى متيَمَّمُ،
أنتم لعمر الله بين جوانحي ... معنىً من النور المبين مجسَّمُ،
بِنتم فلا أدري أقلبي بالدُّنا ... برمٌ؟ أم الدنيا به تتبرّم؟
طُمست محاسنُها وغاض بشاشها ... وبدا لعيني وجهها المتجهّمُ
أنتم رياحين الحياة بعدتمُ ... عنّي، وأنتم ثغرها المتبسّمُ
هذا فؤادي، هذه نفسي على ... آثاركم - شعرٌ يُصاغ ويُنظمُ،
ما لي سوى قلبي الجريح أذيبُهُ ... لكمُ، وأرجو أنّه يرضيكمُ،
ومدامعٍ حرّى تسيل صبابةً ... فوق الخدود، إذا جرت ذكراكم
لا تحسبوا أني شكوت ودادكم ... ضجراً به، أو أنّني متندّم
واللّه لو سكنَتْ بلابل لوعتي ... من بعدكم - لعرفت أني مجرم

هـذا نصيبي في الحيـاة فـانّها منـحٌ تـوزّع أو حـظوظ تُقْسَمُ
حظيّ من الدنيا الوفاء لصاحبي مهـما يكلّفني الـوفـا ويُجَشّمُ؟
وأغضّ عن عوراء كل معاشرٍ علماً بـأن أبـا المعـاشر «آدمُ»

* * *

وأخص بالتعظيم مولاي الذي ما زال يكبر في النفوس ويعظمُ
ذخري ومعتمدي لكلّ ملـمةٍ والآخـرُ المرجـوّ، والمتقـدّمُ
أنا لا أخافك يا زمان؛ فإن لي بدراً يُضاء به الزمان المظلم
أدنى التفات منه يكسر جحفلاً من جيشك الباغي العنيد ويهزمُ
من لم يكفّ عن الترنّم باسمه قلمٌ، ومن ترداد مِدحته فمُ
شادت له الأخلاق صرحَ محبةٍ في كلّ قلب ركنه لا يهدم

* * *

الشعب بعد أبيك لم يرَ واحداً في الناس غيرك من به يستَعْصِمُ
ما لاح في «اليمن السعيد» مؤمَّل
إلّا وأنت أجل منه وأعظم

* * *

مولاي؛ إني قد لقيتُ شدائداً لكن ذكرك في الشدائد بلسمُ
حسبي رضاك؛ إذا رضيت فإنني لا أشتكي سـوءاً ولا أتـألّمُ

* * *

(٩٣)
أنتَ كما شئتِ

وله من قصيدة قديمة :

أنت خلف الستار رعبٌ متى ما شئت يوماً ، وإن تشا كنت حُبّا
فتــوارى عن الجـفــون وإلاّ حـولتك الجفـون ماءً وتـربا !

* * *

(٩٤)
حسَّان أو سلمان

وقال وأنشدها مهنئاً الإمام أحمد بعيد فطر سنة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م عندما كان أميراً لتعز :

ما باله في حنايا الصدر نشوانُ ... في كل يوم له شجوٌ وأشجان ؟
قلبٌ سقته الليالي خمرةً فصحا ... من حوله كل قلب وهو سكرانُ ،
لا تطلبوا منه دنيا غير خاطرةٍ ... في باله إنّه بالشعر ملآنُ

يميد للفنّ إذ يذكي صبابته ... كما تميد لعصف الريح أغصان
والذكريات إذا هاجت به فكما ... تجاوبت في فيافي البيد غربان

* * *

يعيش في هامش الأيام ما عرف الدنيا ، وما زال يمشي وهو حيرانُ
إلّا خيالات أوهام يصوّرها ... غير الحقيقة إحساس ووجدانُ
يا قوم ؛ إن حياتي كلها حلمٌ ... وانني من عجيب الأمر يقظان
وربما كانت الدنيا بأجمعها ... حلما ستروبه أجيال وأزمان
هو الوجود ؛ ولكن كلّه عدمٌ ... وإنّ اضعف شيءٍ فيه إنسان

* * *

يا ويح قلب عميق الحزن ليس له ... من كلّ ما هو فوق الأرض سلوان
لم يهو إلاّ بطولات يشاد بها ... للعلم ركن ، وللأخلاق بنيانُ
أو عبقرية حرٍّ إن هي اكتنفت ... امراً بدا وعليه لاح إتقانُ

* * *

وجِّه فؤادك يدنُ كل مبتعدٍ ... ان لم يكن لسواه فيه سلطان
أو لا فنم عن أمور انت مشتغل ... بغيرها ؛ إن عقبى السعي خسرانُ
مولاي اجرك عند اللّه مدّخرٌ ... إذ لا يقوم بما أسديت شكران
تعبت كيما يذوق العيش ذو سغبٍ ... طاوٍ ، وكي يتردّى الثوب عريان
وهل هنالك مثل الجود منقبة ... بها يُؤَمّل من ذي العرش غفران
مولاي لامست جرحاً طالما غفلت ... عنه عقولٌ وصدت عنه أذهانُ
فقمتَ تمنحه الاسعاف من كثبٍ ... كيما تُهَدْهد آلام وأحزانُ .
فحظّه منك عطف غير منقطعٍ ... أمّا سواك فإهمالٌ ونسيانُ
إن لم تكن أنت من يبغي الشفاء له ... فمن؟ وهل يرتجى في القوم إنسان ؟
مولاي إن عيون الجيل قد شخصت ... اليك ؛ إذ أنت للاسطول ربّانُ

* * *

أظلّنا العيد فالأنوار ساطعةٌ ... أنّى التفتّ ، وكل الشعب جذلان
تلك الظواهر تبدو وهي زاهيةٌ ... لِمَا اختفى في نفوس القوم عنوان
إنّا لنفخر؛ إذ نحن الذين بقوا ... رغم الحوادث لا ذلّوا ولا هانوا
نحن الذين لغير اللّه ما سجدت ... جباهنا ، ولغير اللّه ما دانوا
أو لا فقل لي متى خارت عزائمنا ... واستعْبَدَتْنا من الأعداء تيجانُ ؟

* * *

فَطِرْ بنا ـ أيها المولى ـ الى فلك ... عالٍ تقاصر عنه الإنس والجان
ومُرْ لكيما تباري للعلا همَمٌ ... وكي تطيرَ إلى الغايات عقبانُ
فلن تقصّر عن شأن العُلا فئةٌ ... أضحى لها «تبعٌ» جداً و«قحطان»
والناس تشهد والتاريخ إن لنا ... مجداً تليداً له بين الورى شان

ودمت يا خير من يرجوه ذو أمل وخير من أنجبته اليوم «عدنانُ» .

* * *

مولاي إن قوافي الشعر قد عجزتْ عن حمله مثلما يمليه وجدان
ولا أبالي إذا ما لم أجدْ فأنا إن فزت «حسان» أو أخفقت «سلمان»

* * *

(٩٥)
عواطف

وله وأنشدها أمام الإمام أحمد عندما كان ولياً لعهد في شهر ذي الحجة /١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م :

قدسيّة الحبّ منها صغت أوزاني ... وحولها حمتُ كي أمتاح ألحاني
والشعر لن يخلب الألباب رونقه ... إن لم يذب فيه قلب المغرم العاني
يا من أذبت فؤادي في هواه وما ... منيتُ إلّا بابعادٍ وحرمان
ما زال يصطاد بالآمال مجتهداً ... قلبي ويرميه من آنٍ إلى آن
حتى ذوى زهر آمالي وأعقب لي ... بين الجوانح آلامي وأحزاني
أهذه هي أيامُ الصبا وإلى ... رجوعها يتنزّى العاجز الفاني ؟
فلو بلغت قصارى العمر ما نزعت ... عواطفي نحوها يوماً ووجداني ،
ماذا ؟ سوى أنّةٍ حرى يكاد لها ... قلبي يذوب ، وجفنٍ دمعه قانِ
وصاحبٍ أنا لا أنفكُّ أذكره ... على المدى ، وهو لا ينفكّ ينساني

* * *

هذا هو الحب ؛ لا ينفكّ يخلق لي ... عوالماً ذات أشكالٍ وألوانِ
دنيا وعالم أشجانٍ أعيش به ... وحدي وللنّاس حولي عالم ثاني
يا موقظ الفتنة العمياء مجتهداً ، ... دعني أعشْ ؛ لست من همي ولا شاني
وأنتَ لا زلت ياذا الجاه في دعةٍ ... مباركاً لكَ في مالٍ وولدان

نفسي الخليّة عن دنياكمو ، ولها منها منادح من شجوٍ وأشجان
لذاك لم تطوِ في طيَّاتِها حنقاً على الزمان ، ولا بغضاً لإنسان

* * *

لي جنّةٌ شيَّدتها لي ملائكةٌ أو ربّما هي من إبداع شيطاني
لم أدر إلّا بأنّي صرتُ مُفْتتناً بحسنها الفذ عن إنسٍ وعن جانِ
بنات عبقر في أرجائها ولها رجع غدا مِلء أفكاري ووجداني
أروم أشدو بما شاهدتُ من عجبٍ أثناءها غير أن الشعر عاصاني
ولو أطاع لأبدى في سلاسته سحراً يعيث بألباب وأذهان
وأطرق الدهر من ترجيعه دهشاً مستعرضاً سير أجيال وأزمان
هُنَا هُنَا ضَجةٌ كُبرى ، وعاطفةٌ تطغى وثورة بركان ونيرانِ

* * *

مولاي ؛ لولا حنانٌ منك لاشتعلتْ نفسي بنار صباباتي وأحزاني
مولاي ؛ كم أنا مسرورٌ ومغتبطٌ إذ أنتَ وحدك بعد الله ترعاني
وحين أغدو وآمالي معلقةٌ جميعها بك ؛ لا قاصٍ ، ولا داني
هربت إذ خفت عفريت الزمان وما وجدتُ غيرك منه اليوم نجّاني
نجوت منه وقدماً كنتُ في يده شاةً تعذّبها أنياب سرحان
لذاك مولاي قد آثرت قربيَ من مغناكَ عن قرب آبائي وإخواني
ولست وحدي من أثقلتَ كاهلَه كلّا ؛ فكم كان أشباهي وأقراني
من كان يغمط ما أَوْلَيتَ من نعمٍ فها أنا اليوم قد أبديت شكراني
لمّا محضت لك الإخلاص بارك لي ربُّ البريةِ في يُمني وإيماني
وصرت لم أخش سوءاً بل أعيش كما أهوى وآمل في أهلي وأوطاني
يا حسنها من حياة لا ينغّصني فيها ضميري ولا عقلي ووجداني
إن عشتُ عشتُ على عزٍّ ومكرمةٍ أو متُ صرت إلى روحٍ وريحانِ

* * *

ويْحي ؛ فماذا عساه كان يحدث لو أطعتُ بعضَ أُصَيحابي وخلاني ؟
إذن لعشت شريداً في الحياة كذي بلابل قلق الأحشاء حرّان
لا نظرة من أخي عطفٍ يزول بها حزني ، ولا صاحب بالبشر يلقاني
كالغصن يذبل كالطير الغريب إذا رمى به البين عن صحب وجيران

* * *

حملتَ مولاي قلباً كم يحنّ إلى فعل الجميل ويهوى كلّ إحسان
قلباً تتيَّم بالعلياء ؛ إن له بها صبابة مشتاقٍ وولهان
دوماً يحن إلى غوث اللّهيف ، إلى نصْفِ الضعيف ويعفو إن جنى الجاني
وتارةً ربما يقسو ومقصده التأديب والزجر ، شأن الوالد الحاني
لذاك ما رامه بالسوء ذو سفهٍ إلاّ وآب بخذلان وخسرانِ

* * *

لم أنس مولاي لما قمت محتسباً بالأمس بين أخي بؤسٍ وحرمان
وقفت إذ ذاك كالماء الزلال وهم لديك ما بين عطشان ولهفان
في مجلس فاق قدراً في بساطته مقام كلّ عظيم القدر والشان
هناك صفّقت الاملاك من طربٍ وغبطةٍ وتلاشى كل سلطان
ما المَلْكُ يخطر في الايتام مفتقداً كالمَلك يختال في خزٍّ وعقيان

* * *

مولاي عفتُ هوى الدنيا وزخرفها وربّما هي أيضاً ليس تهواني
حسبي فؤاد بحب الله ممتلىء وحب أكرم مخلوقٍ وإنسان
وبعد ذلك لا ألوي على أحدٍ سوى الذي دون خلقِ الله آواني

* * *

(٩٦)
في عالم الشعر

وقال يهنّىء الإمام حينما كان أميراً بتعز وألقاها أمـامـه يـوم عيـد الفـطر سنـة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م :

شاعرٌ بات سادراً في مكانِهْ مُصغياً لاستماع همس جنانِهْ
تارةً للحياة يصغي ، وطوراً لصداها يجيش في وجدانه
بات يوري بواعث الفنّ حتى هاج فيه الخفيّ من أشجانه
عجباً منه شاعراً ، وهو في كل أوان يهيم في وديانه . .
يحسب الشعر نازحاً قد تولّى عنه ، وهو الغريق في طوفانه

* * *

إيه يا شاعر انتبه ها هو الكون غدا منصتاً إلى فنّانه
فتنقَّل ما شئت في جوّه الرحب ، وحُمْ كالفراش حول جِنانه
إنما الكون مصحفٌ أنت ياشا عرقاري الجلال من تبيانِهْ ،
طِرْ مَعَ نسمة الصباح ، وعانق كلّ غصنٍ يميس في أفنانه
وتنسّمْ ما شئت من عَبَق الأزهار ، واجْنِ الجنيّ من ريحانه
وتسرّب إلى قلوب المـحبّين بنشر الربيع في إبّانه
وتلطَّف وحيٌ أسرى «كيوبيد» وطف كالنسيم في أسجانِه

فهناك القلوب كلمى ، هناك النار تطغى ، هناك وخز سنانه

* * *

ثم حلِّق يا شاعري في سماء الشرق من شامه إلى بغدانه
وترنم بمجده يوم أن كان عزيزاً يُهاب في سلطانه
وعلى نوره سرت أمم الغرب ، وأرسى الجلال في شطآنه
غمر الأرض رحمةً ، ملأ الدنيا حناناً يفيض من إيمانِهْ

* * *

كان هذا . . من قبل أن يصبح «الغرب» قويّ النفوذ في أوطانِهْ
آه كم من مصيبةٍ وجّه القوم إليه ، فحطّمت من كيانِهْ
ولعمري لقد طغى الغرب حتى ذاق مرّ العذاب في طغيانه
أجّج النار للضعيف فما كان سواه المذاب في نيرانه
هذه والإله غاية سوءٍ ، وقفتْ عندها خُطا شيطانه
أين ذو الرأي والنباهة والحكمةِ والمُلْهَمُونَ من سكانِهْ ؟
رب ذي فطنةٍ تخال كنوزاً دُفِنتْ للعباد تحت لسانه
يحسب الخير في يديه فلمّا هتف الشر كان من أعوانه

* * *

إيه يا قوّة وراء اللّيالي غِبْتِ عن فكرة الورى وعيانه
وقف الكون في يمينِكِ طفلاً ليس يدري الشّمال من أيمانه ؟
سقتِه جاهلاً إلى موضع لم يكُ من سؤله ولا من شانه
طالما فرَّ عنْهُ لم يأل حمداً في حضاراته وفي عمرانه
ووراء النعيم يخطر فيه ، ووراء الكثير من عقيانه

* * *

فتحتْ للشقاء باباً وألقتْ أسراء النعيم في أحضانه
هتف الفيلسوف يبغي نجاةً من ضجيج الزمان من غليانه

وانبرى يشرح السعادة للناس جميعاً بسحره ، ببيانه
فتلاشى أنينُه في خضمٍ صاخب كالجحيم في طغيانه

* * *

وطني ؛ لا عليك قد صانكَ اللّه وألقى عليك ظلّ أمانه
لك هادٍ من نوره ، لك سيفٌ يدفع السوءَ عنك من قرآنه
لك يا موطني سُراةٌ عليهم رضي اللّه في قديم زمانِهْ
هم دعاة الإلٰه فينا ، وهم ما برحوا اليوم حارسي أديانه
حملوا مشعل الهداية للخلق وليل الضلال في عنفوانِهِ
كل ليث منهم يدافع عنا كدفاع الكريم عن صبيانه
يثبُ الدهر بالخطوب وهذا «شمس» دين الإلٰه من أقرانه
جاءنا العيد ؛ نورُه من محيّاه مضيئاً ، ولطفه من حنانه
أهو اليوم بشره غمر الناس جميعاً ، أم ذاك فيض بنانه ؟
لا لعمري فمن شمائله كم . . كان عيد لنا بغير أوانه
لم يزل يمنح الجميل إلى أن حسبوا العيد فاض من إحسانه

* * *

أيها المصلح العظيم إذا ما وقع الشعب في عظيم امتحانه
أنت في المحل غيثه فإذا ما كان يوم الوغى فليث عوانه
آه لو تسعد القوافي فأشدو ذاكراً ما بذلتَ في رفع شانه
ما تجرّعتَ من عناءٍ إلى أن زال عنه الكثير من أحزانه
غير أني عجزت عن ذا وشعري ليس في وسعه ولا إمكانه
وقُصارى مناي في مدح مولاي قبول المديح من «حسَّانه»
فإذا ما كبا جواد القوافي فقبول الولاءِ من «سَلْمانه»

* * *

(٩٧)
أصداء رمضان

أنشدها وليُّ العهد (الإمام أحمد بعد عام) في
٦ / شوال / ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م بتعز :

لتكن كالماء للصادي شرابا ... أو تكن إن شاءت الدنيا سرابا
لا أبالي خيرها من شرّها ... أنا من دنيا الورى أسمى جنابا
سَمُجَتْ عندي فلا يكسبني ... خيرها زهواً ، ولا الشرّ اكتئابا
فكرة عاش لها قلبي فلا ... يرقب النعمةَ ، أو يخشى العذابا
ولكلّ مثلٌ أعلى إذا ... ما إليه وجّه النفس طلابا
عاش في الدنيا كما يهوى ولم ... يحتفل خالف أهلاً وصحابا
فدع السادر في أهوائه ... دعه حاز النصر ، أم لاقى التبابا
لا تعنّفه على الأمر الذي ... طالما لذ له يوماً وطابا ؛
إن خيرًالك من تعنيفه ... غايةٌ تسعى لها العمر طلابا

* * *

غلب الأيّام والدهر فتى ... يتحرى في مباديه الصوابا
لا يحبّ المجد سهلاً سائغاً ... ويحب المجد يأتيه غلابا
واليمانون الأُلى كم ولجوا ... للعلا بالجدّ والإقدام بابا
رفعوا ألوية العمران في ... عالمٍ معظمه كان خرابا

هـذه آثـارهـم تخـبرنـا ... انهم قـد جعلوا الإتقـان دابـا
«بـلدة طيبـة» كـانـت لهـم ... جنـة في السلم والهيجاء غـابا
إذ أهـابتْ ربـةُ العـرش بهم ... واستفزّت منهم الأسد الغضابا
اليـمانـون حـوى تـاريخنـا ... منتهى السؤدد والعلم اللّبـابـا
تخـبر الأخبـار عـنـا أننـا ... أسرع الناس إلى الخير جـوابا
صـدع الحق فقـمنـا دونـه ... نبـذل الأرواح شيبـاً وشبـابـا
حـين نـادانـا إليـه المصـطفى ... فـأجبنـا صـوتـه لمّـا أهـابـا
ونهضنـا اليـوم نبني مجـدنـا ... تحت تاج طاب فرعاً وانتسـابا
شـعبنـا يـرنـو اليـه مـثلما ... يرقب الملاح في الأفق الشهابا
أيهـا المـولى الـذي قـلّدنـا ... مكرمات لست أحصيها حسابا
إن شعبـا أنـت بـاني مجـده ... لهو الأولى بأن يـرقى الصعابـا
فـارفع الصـوت وأسمـع أمـةً ... عن سوى صوتك تزورُّ وتـابا
حـقق البـغيـة من آمـالهـا ... أمـل الأمـة لـولاك لخـابـا
فهي من غـيرك ترجـو مطلبـاً ... كالذي في الحرّ يستسقي السرابا

* * *

قمتَ يا مولاي تـأسو أكبـداً ... بيننـا أضرمها الجـوع التهـابـا
قمتَ تكسو عارياً ما تـركت ... قسـوة الـدهـر لـه إلّا إهـابـا
آه مـا أروعـهـا من وقـفـة ... بينهم إذ قمت للّه احتسـابـا
أقبلوا نحـوك كـالسيـل إذا ... ما أتى ينساب في الأرض انسيابا
من عجـوز ظاهـر البؤس دنـا ... منك فازداد من الخـير اقترابـا
وفتـاة مـا درت تـطلب من ... كـرم المولى طعـامـاً أم ثيـابـا
وصغـيـر مـا لـه غـيرك من ... راحم يـرجو من اللّه الثـوابـا
فتفـضّلت عـليهـم بـالـذي ... سـوف يجزيـك بـه اللّه مـآبـا
ان هـذا لَهُـو الـعـيـدُ إذا ... ظنـه النـاس طعـامـاً وشرابـا
فـابق لـلأمـة تهـدي حـائـراً ... أيهـا المصلح ، أو تبني خرابـا

(٩٨)
مشروع قصيدة

في يوم ٣/١٠/١٣٧٠ هـ وصلني إلى معتقل «قاهرة حجة» خطاب من الشاعر ابراهيم الحضراني ـ وكان قد أطلق سراحه وسافر إلى تعز ، ومما ورد في الخطاب قوله :

«حاولت أن أنظم قصيدة استقبل مولانا أمير المؤمنين بها فلم يُفتح عليّ بشيء سوى أبيات في أوّلها لا تمس الموضوع الذي أريد أن أتخلص إليه وأولها» :

نحو السماء أمدّ كفي خاضعاً ... متطامناً لقضائها متواضعا
نحو السماء فقد أنى لجوانحي ... ان تستقر بلابلاً، ونوازعا،
تاهت خطاي بمهمهٍ لا ينتهي ... وفنيت فيه تأوّها ومدامعا،
ولطالما فتشت في جنباته ... كيما أصادف للحنوّ منابعا
أما الصديق فقد حفظت حقوقه ... وغدا لديه عظيم حقي ضائعا
ولكم لذكر الخلّ بتّ مسهّداً ... دامي الضلوع وبات عنّي هاجعا
ولكم يجرّعني الأسى ويمضّني ... أن امحض الودّ الأكيد مُصانِعا
والنفس إن فقدت حنوّ اليفها ... فقدت لغلّتها اللهيفة ناقعا
ورأت بشاشة كل عيش عابساً ... والآهلات من الأنيس بلاقعا

ثم قال «هذا : ـ ولقد كنت أريد أن أتخلّص إلى المديح ولكنه صعب عليّ ، وأنا الآن أفكر في تبديل الرويّ والقافية فعسى أن تتحرك الفكرة» .

(٩٩)

يا قلب كم سرّك لقاء الحبيب

ومن حمينيـات ابـراهيم التي تغنّى بهـا في صنعاء ، قوله :

يا قلب كم سرّكْ لقاء الحبيبْ ... وكم قـد اسْتَـأنَسْت قُـربِـهْ؛
فكيفْ لا تَصْبِرْ عليهْ حِينْ يغيبْ ... ويجتَمـعْ بـأهلِهْ وصَحْبِـهْ؟
نَسيتْ يـا قلبي وأنتَ اللّبيبْ ... أنّ الحـيـاهْ هَـبّـهْ بهـبّـهْ
ساعَهْ نصيب فيها وساعه نخيبْ ... وهـكـذا طبـع المحبّهْ
عَادْ كانْ يمكِنْ رجعتَك من قريبْ ... إلـفـتـهـمْ والإلـف حَـنْبِـه
واليوم تبحثْ بعدهمْ عن طَبيبْ ... مِـنْ بعـدَهـم مـاشي أطبّهِ
الصبر يا قلبي ولَـو هُـو تَعيبْ ... بالصبّر تجلىَ كلّ كُربِهْ
وهُمْ يقولوا كلّ شيء بالنّصيبْ ... يـا بـخَتْ مـن خـلّه يحبّـهْ

* * *

(١٠٠)

مع مغترب جديد

مـرحـبـا، مـرحـبـا آنـسـت يـا خـير قـادمْ
مـن «تِعـزْ» أو رُبى «صـنعـاء»؛ سـقَتْـهـا الغـمائـمْ
أو مِـنَ «الـوادي الأخضرْ» وأرض الـتـهـايـم
هـاتِ عـلـمـكْ؛ قَـدُوْ سِـنِّـهْ لمـن جَـا يعَالِـمْ

* * *

كيف حـال الـوطن؟ كيف الحبـايبْ ولصْـحـابْ؟
نحن غبْنـا، ومـا غـابـوا، ولا ذكـرهـم غـابْ،
هـمْ مـعـانـا، وياما قـلب من ذكـرهـم ذابْ،
ذاب من لـوعـة الفـرقِـهْ، وكم دمـعْ سـاجمْ.

* * *

قـال؛ والـقـول من لِـسْنِـهْ لـه اشكـالْ والْـوانْ
مثـل صَفْـو الـكـرعْ، أو مثلما «قـوس عـلان»:
الجـمـاعـهْ بـخـيرْ، والـكـل مـشـتـاق وولهـانْ
مـا يهـبّ الـنـسـيـم، أو مـا تـنـوح الحـمائِـمْ

* * *

الحـبـيب في شـجـن.. مـن خِـلّ نـاسي عـهـودِهْ

والجـرَبْ صـالـبـهْ، يـا مـن يحَـنْـجِـنْ رعـوّدِهْ
كـلّ مَن لـه صـديقْ، واحنـا لنـا الـلّه، وجـودِهْ
سـافـروا سـافـروا؛ واحـنـا لِـمَنْ يـا عوالمْ؟

* * *

قـلت: واحـنـا عـلـيـنـا الـلّه داري وشـاهـدْ
مـا نـسـيـنـا حـبـايـبْـنَـا ولا يـوم واحـدْ
والـقـلوب ـ مـثـلما قـال المـثـلْ ـ هي شـواهـدْ
سَـلِّم الأمـر لـهْ فـالـلّه داري وعـالمْ

* * *

الـصـغـيرْ والـكـبـيرْ مـتـحـلـبـطين في قـيـودِهْ
مـا حَدَنْ مِـنّهـمْ يـوصـلْ إلى مـا يـريـدِهْ
والخـلاصـهْ نـسَـالـه: كـل غـايب يـعـيـده
والـبـقـيـه تِـكَـمّلْـها إذا كـنـت فـاهـمْ.

الكويت ٩/٤/١٩٧٨ م.

(١٠١)

وعندما وصلتني هذه القصيدة جاريتها فقلت مكمّلاً كما طلب:

الغريبْ قد لقِي أهلاً بأهل وجيرانْ. .
بعد جيرانْ، واعتاض بالخِلّ خلّان!
كيف يرجعْ؟ وأيْن يرجعْ وقد كانْ ما كانْ؟
لا منازلْ، ولا أحبَابْ، ولا روض باسمْ.

* * *

والتذكّار - يا غُربَةْ دموع التذكّارْ
بعد مَنْ تاهْ، أو من مات مشتاقْ إلى الدارْ
والذي ما دروا أين سارْ، ولامنّه اخبارْ
كلّها اشجانْ إن هاجتْ جرى الدمع ساجمْ

* * *

يا صديق الصبا مثلي ومثلكْ له اللّهْ،
ما بقي لي ولك إلاّ الحنين والتأوّاهْ
والنغم والقريض ، والكاس والصّيتْ والجاهْ
في العوالمِ؛ وأمّا في اليمن فانتْ فاهمْ!

* * *

بروملي ١٢ /٥/ ١٩٧٨ م

(١٠٢)
شموخ الضاد

سألوني عن العراق وقالوا: إن فيه تزاحم الأضداد
قلت كفّوا عن العراق ففيه يا بني يعرب شموخ الضادِ

* * *

(١٠٣)
صلي . . أو فصدّي

من قصيدة قالها في أثناء الحرب العالمية الثانية :

صلي أو فصدّي كيفما شئت فافعلي ... لعمرك إني عن هواك بمعزل !
أمثلي يبيع الغانيات فؤاده ... لتقتله قتل البريء المغفّلِ ؟!
تصفّحت أحوال الحياة ورزتها ... وشمت بروقاً في الوجود تلوح لي
فلم أر فيها مطمئناً سوى امرىءٍ ... يبيتُ بقلبٍ عن أباطيلها خلي
بمقدار ما يحسو الفتى من زلالها ... تجرّعه من سمّها كأس حنظل
ألم تَرَ أبناءَ الفرنجة بعدما ... حسوا كأس دنيا بالنعيم معلّل
لقد صبّ سوط الانتقام عليهمُ ... فيا لمصاب حلّ بالقوم معضل
فكم روضةٍ للّهو صوّح نبتها ، ... وكم موضع عن ساكنيه معطّل
وكم واقف في سفح باريس قائل ... «قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل
وكل بناءٍ شاده اللّه وحده ... تزلزلت الدنيا ولم يتزلزل

ويقول ابراهيم إنه تخلّص في القصيدة إلى مدح الإمام يحيى حميد الدين وإن الإمام أجاب عليه وحوّل له من عامل ذمار بخمسة أقداح طعام.

(١٠٤)
شكوى إلى عميد الأدب في كلية القاهرة
الدكتور طه حسين في يوم ذكراه

أقامت جامعة «المينيا» مهرجاناً بمناسبة مرور مائة عام على ولادة الدكتور الأديب طه حسين ، ومثل اليمن في المهرجان شاعرنا ابراهيم وقد استهل حديثه بقوله :

تحية اليمن وإكبارها لعميد الأدب العظيم د. طه حسين ، وتحية اليمن واكبارها لمصر التي تنجب العظماء ، إني أعتبر نفسي أيها السادة من أطول الناس صحبة لطه حسين ، وستعجبون وأنا من اليمن المعزولة آنذاك ، ولم أعرف مصر إلاّ في آخر «الخمسينيات» فأقول إذا عجبتم ما قاله شوقي في مصر :

ومصر كالكرم ذي الإحسان؛ فاكهة
لحاضرين وأكوابٌ لبادينا

لقد عبّيتُ من أكواب «طه حسين» كما عبّيت من أكواب مصر؛ وما مصر إلاّ طه حسين، وما طه حسين إلاّ مصر» . ثم أنشد :

من منبر اليمن السعيد من منبع الضادِ التليد
أهدي لروحك ما تفتّح في رباها من ورودِ

وتلفتّت؛ ماذا ستنشد؟ ما ادخرت من القصيدِ؟
سأذيب وجداني له هل بعد هذا من مزيد؟
هو بعض ما أعطى، وأعطى للقريب وللبعيدِ
يا رائد الفصحى؛ شكاية موجع مضنىً عميدِ
السَّاح بعدك يُستباح؛ بلا رقيبٍ أو عتيد
والطَّمطمات عَلَتْ وألوت بالحواجز والسدود
ويلي على الفصحى ووا لهفاه للنشء الجديد
سَلْهُ عن «الخَدَقيّ»، عن «بشّار» عن «عبد الحميدِ»
مسخٌ ولكنّي أقول لأمتي لا لن تبيدي
قد تُمسخ الأفراد قد يتشتتون بكل بيدِ
والخُلد للفصحى، وللأدب الرفيع وللجدود

مارس / ١٩٨٩ م
شعبان / ١٤٠٩ هـ

(١٠٥)
فرحتان

ألقاها ابراهيم في مهرجان «المِربَد» عام ١٩٨٨ م :

شيئان ردّا لي طموح شبابي ... مسحا عذابي بعد طول عذابي
قوميّتي وهي العراق، ومولدي ... حيث التقى الأحبابُ بالأحبابِ
هذا ثباتٌ لا يلين؛ وهذه ... رحم تدانت بعد طول غياب
فلتبْسمي دنياي أو فلْتعبسي؛ ... أنا قد أخذت من الزمان حسابي
يابن العروبة في العراق تحيّة ... بالحب، بالاكبار، بالاعجاب
من أرض «ذي يزن» معاقل «مارب» ... وجبال «أرحب» أو سفوح «رحاب»
لم يُنسها مرّ الزمان أواصراً ... ما بيننا، وتتابع الاحقابِ
«الفاو» أين «الفاو» ننشق تربه ... عطراً ونحمله على الأهداب
ونزفّه للأمهات هديّةً ... «بزبيد» أو في سورة «المنتاب»
قالوا؛ وها أنا ذا أقول بأنّنا ... في غابة؛ يا سوء طبع الغاب
لا حكم فيها للشرائع إنّما ... للظفر مرهوب الشبا والنّاب.
فليبق سيفك في يمينك مصلتاً ... ما دمت بين أساودٍ وذئاب

* * *

(١٠٦)
يا بني العمّ

قالها ابراهيم عندما استفحل الخلاف بين الفلسطينيين وقاتل بعضهم بعضاً ·

جللٌ أن أقول مات ضمير وتوارى عقلٌ وغار شعورُ
إدعاء الإنسان تمجيده الحقّ هراءٌ وباطلٌ وغرورُ،
أنت لست الذي على الحقّ إن لم يك في كفّك الردى المسعور
«مجلس الأمن»!! يا لمهزلة العصر، ويا لَلأحكام كيف تجورُ؟
أيّ أمنٍ والأرض تجأر بالشكوى؛ دماءٌ وأدمع، وقبورُ؟
أيّ شيءٍ أقوله عنك يا قدس؛ كلامي مهما يطلْ تكريرُ؟!
لُغتي هاهنا شواظ من النيران مشبوبة، وصوتي زئيرُ.

* * *

يا بني العم؛ والحديث شجون كاد عن حمله تضيق الصدورُ
قد كتمناه في الضلوع لأمرٍ حين جدّت بعد الأمور أمورُ
معكم نحنُ في المعارك.. في خوض المنايا صباحنا والبكورُ
غير أنا لا نرتضي النار تَسْتشري، وفيها ويلٌ، وفيها ثبورُ
ثم لا تُجمعُ الأكفُّ على إطفائها - والقلوب والتفكيرُ؛
أخلافٌ هنا؟ إذاً كيف نرجو أن يزول المكروه والمحذورُ؟

قل لمن رام دفننا وهو منا: أنت واللّه جاهل مغرورُ:
عذر «شمشون» حين طوحَ بالناس وأودى بأنه مبتورُ.

* * *

(١٠٧)
يا ناس ضاع الطريق

ومن حُمَينيّاته :

كنت اعتقِدْ أن قلبي في ضلوعي مؤمّنْ ... ضِدّ التلَفْ والحريقْ
وضد ما يشغل الخاطِرْ ، ويؤذي ويمحنْ ... وضدّ نِهدِهْ وضيقْ
واليوم محبوب قلبي في عذابِهْ تِفَنَّنْ ! ... حقيقْ ؛ واللّهْ . . حقيق ؛
وقد نويتْ ارفع الدعوى ؛ ولكنْ على مَنْ ؟ ... يا ناس ضاع الطريق ؟

* * *

والصّادقِهْ ؛ ما دِريتْ ذَنبهْ أم الذّنب ذنبي ؟ ... أو لا قَدِ آحنا سوَى ؟
والفرق قلبهْ معِهْ ، أما أنا شل قلبي ، ... أنا من أهل الهوى
مِعِهْ مِعِهْ أينما يشتي يسير بي يسير بي ... سوى ، وإلّا غوى ؟
وقد نويتْ ارفع الدعوى؛ولكنْ على مَنْ؟ ... يا ناس ضاع الطريق؟

* * *

كم لمت قلبي على حبّهْ فما افكَرْ ولا اعقَلْ، ... والقلب لاطاحْ . . طاحْ ؟
يا قلب يا قلب خذلك في الهوى ما تِسَهَّلْ ... واصبرْ وما راح راحْ .
شغلت نفسكْ بحمل الحبّ والحبّ يشغَلْ ... يا قلب يكفي جراحْ .
واللّيل لا طال فاصْبرِ لهْ إذا اللّيل طوّل ... لا بدّ ياتي صباح

(١٠٨)
نشيد مغترب

وقال:

الهـوى كـل الهـوى للوطنِ ... أين منـا نـفحـات الـيمـن؟
أين منـا نسـمات السحـر من ... سفح «صنعاء» وريّا «عـدنِ»
وحقول البن تزهـو في الرّبـا، ... وشذى المسك بـوادي «تُبنِ»؟
يـا بـلاداً نبتَ العـزّ بهـا، ... وروى الأمجاد عن «ذي يزن»،
نحن أكـبرناك صـوتاً عـالياً، ... وشمـوخـاً سـاميـاً لم يهـن
غلب الـدهـر عـلى قسـوتـه ... وتحـدّى كـبريـاء الـزمـن
لـكـن الـدهـر وفي دورتـه ... عـبرٌ بـالـغـة لِـلْـفـطِن
بـات لم يحفـل بمن نـام ولـو ... كـان والنجم معـاً في قَـرَن

* * *

(١٠٩)
لبّيك

وقال ابراهيم : «دعيت إلى العراق لأشارك في تأبين عبد السلام عارف وكانت البلاد العربية تمر بأسوأ ظروفها ؛ كانت الحرب قائمة بين اليمنيين ووراء كل فئةٍ منهم دولة أو دول عربية تتبادل التهم وتؤجج بواعث الإحن والأحقاد فقلت» :

صوتٌ له كلّ اعزازي وإكباري ... وخاطري وأهازيجي وأشعاري
صوت العروبة ألقاها قد اجتمعت ... قلباً بقلب ، وأفكاراً بأفكار
من قال ؛ انا اختلفنا خاطراً وهوى ؛ ... لم نختلف رغم تهويشات شطارِ
دعهم يقولوا ؛ فإني لا أصدّقهم ... فكلّهم بين ختّالٍ وختّارِ .
قد اتحدنا هنا رأياً وعاطفةً ... ولتبرح الدار إن شاءت عن الدار
أخي أناشدك القربى لتحفظها ... فإنها إرث أجيال وأعصار
نصون وحدتنا الكبرى بعاطفةٍ ... كبيرة ، وبإخلاص ، وإيثارِ
إن نطفىء البغض بالبغضاء مضرمةً ... نكن كمَنْ يطفئون النّار بالنارِ
«عبد السلام» وفي ذكراكَ لي شجنٌ ... وكم أثار لي الأشجان تذكاري
كنا نريدك في يوم نسير به ... إلى «فلسطين» يوم الأخذ بالثار
لا مجد ما لم تكلّل في مرابعها ... جباهنا بالدم القاني وبالغارِ

* * *

صبراً عراق الميامين الاباة وإن جلّ المصاب . فهذي حكمة الباري
أكاد في كل شبر من مرابعكم أحني الجبين لتقبيل الدم الجاري
دم يفيض رسالات نقدسها ونفتديها بأسماع . وأبصار
كانت ترانيم آبائي إذا طربوا يوماً ؛ وكانت لهم تسبيح أسحار

* * *

(١١٠)
سلام

وله :

سلامي على ذات الملاحة أوّلا ... سلام شجٍ ما ودّع الحب أو قلا
وإن سألوني عن فؤادي فإنّه ... سلا كلّ شيءٍ في المنازل . . ما خلا
أرى بعدهم ما يعجب العين والنهى ... وأمّا جمالاً يطّبي مهجتي . . فلا

* * *

(١١١)

«تسلّي» ونسيان

هات كأسي وخذ لنفسك كأسا نتسلّى بها وننسى النّاسا
سمحةٌ تقتل الهموم، وتأبى أن تمسّ الشعور والإحساسا

* * *

(١١٢)

قَدْكِ!

متى تجودين بالوصالْ يا ربّةَ الحسن والجمالْ؟
الخير والشرّ لم تكوني مصدره.. كلّه محالْ
فاتنتي قَدْكِ ما ألاقي وحسبك التيه والدلالْ
دعي لأوطانه فؤاداً يهيم بالحسن والجمالْ
ويعشق العدل في رباها ويمقت الظلم والضلال

(١١٣)

لقاء الحبايب «حمينية»

دانْ.. لا دانْ؛ بانِسْمِر على نغمة الدّانْ

قالها في إحدى اللقاءات الأدبية بين أدباء الشمال والجنوب اليمنيين :

عانقي يا جبال «ريمهْ» شماريخ «شمسانْ»
وانتْ يا وادي «القَرْيهْ» تِفسَّحْ «لبيحانْ»
قالوا اليوم في «صعدِه» حصل حفل طنّانْ،
والتقينا الجميع في عرس «حِسْنَى» و«حسّان»
«باوزير» صدّر «الحِنّا» معَ غصن «ريحانْ»
و«النّتنْ» صدّره و«البن» من سفح «صعفانْ»
والتقى «الحارثي» و«المرشدي» و«القمندان»
دانْ.. لا دانْ. بانِسْمِرْ على نغمة الدّانْ..

* * *

الحبايبْ.. سقى الباري ديار الحبايبْ
بين «سيئون» و«الحوطهْ» و«صنعاء» و«ماربْ».
قد جُمِعْ بالهنا والسعد شمل الحبايبْ.
خِلّ بالخل يتهنّا، وصاحب لصاحبْ
والأمور سايره والخير من كل جانبْ

السعسل «دوعني» والبُرّ من «قاع جهرانْ»
دان.. لا دان.. بانِسمر على نغمة الدان.

* * *

حُبّي الأوّل الغالي ولي حبّ ثاني
كاذيهْ من روابي «عنس» أو «كوكبانِ»؛
سحر «بير العزب» فيها ونفحة «خبانِ»
نور عيني، منى قلبي، وفرحة زماني.
«كل شي ما خلا جبر المحبّين فاني»
عانقي يا جبال «ريمهْ» شماريخ «شمسان»
دانّ.. لا دان.. بانسمر على نغمة الدانْ.

* * *

(١١٤)

إلى أخي . . «حمينية»

كتبها إلى أخيه الشاعر محمد أحمد الحضراني :

يا أخي . . كيف حالكْ ؟ حالنا مالها شي ،
قد رِكنّا على بقْعا . . وجينا وهِي لاَشْ
كيف «صالح علي يحيى» ؟ وكيف «البراشي»
و«علي بارقي» كيف حالته و«ابن مِكراش» ؟
ما نسينا جَبا «المذره» وباب «المناشي»
و«القُرَس» و«المحاجين» الكبار و«التمرعاش»
وانّها «الوالده» في «الحصن» تدّي لنا شي
حَيث من أجلنا ، قد تمّت العمر «حُوتاش»
وأنت وأنا ؛ وهي والعنز ترعى الفياشي
ما معانا سوى هي ، سوى الكلب «رقاش»
والْتَفِتْ وان دمع «الوالده» كالطشاشي
تبكي «القاضي أحمد» طار من مغوشِهْ طاشْ
يا أخي هات لا نكذب على الناس ولا شي
نحن غرس الدموع المرويهْ كل العْطَاش
نحن نحن اليمن نِفشرْ ولا عندنا شي
عندنا كل شي والناس ما عندهم لاشْ

باسألكْ وفْتِني عن حُرّ بحار ناشي
بالسفينه على الأمواج يحْتال يحتاشْ
قد تعنّى بها لا ما قدي ما لها شي
وتوكّلْ على الباري وهو ثابت الجاشْ

(١١٥)
أخي رعاك اللّه
«حُمينية»

وكتب لـه أخوه الشـاعر الشعبي محمـد أحمد الحضراني يشكو ضيق حاله ويريد الوصـول إليه إلى الكويت فانزعج ابراهيم لهذا النبأ لضيق ذات يده من جهة ولعلمه ـ كما يقول ـ بأنه لا يستطيع أن يتحمّل عذاب الغربة، فبعث إليه أخوه قصيدة يقول فيها :

يـا مـرحبـا حيًّـا بمكتـوب وصـلْ ... الـظرف منـه فيـه عـاطـلْ
ومن وصــولي للكـويت انفعــلْ ... وحــرّر ألــفــاظ لي قــنــابــل

إلى أن يقول :

شقيقـك «الصارم» وَبُـوك البطَلْ ... لا جـفــاهـم «عـنس» كـامــلْ
كيف يتركوك؟ أين الحيا والخَجلْ؟ ... وهُـمْ مـن الـقــوم الأفـاضــلْ

وقد أجابه ابراهيم بهذه القصيدة :

أخي رعـاك اللّه قد اليَـذْ عـطلْ ... مـا عــاد شي طــالــغْ ونــازلْ
وسحر أخوك ذي كان يهدّ الجبل ... أصبـح بحكم الـوقت بـاطــلْ
أيّــام تـتـبــدّل، ودنــيـا دولْ! ... مَنْ عـا تخاصم؟ من عـا تجادل؟

«العنق» و«الجلّهْ» تجـاه الجـمـلْ   قـد خلّت اخفـاقـه خـذابـل
لـو تفتكِرْ يـا خي بما قـد حصلْ   مـن «الإمـام يحـيـى» ونـازلْ
إنـك حمـدت اللّه تعـالى وجـل!   فـالعـافيـة والسـتر حـاصـل
أصبحت شاعر«عنس»تنظم زجل،   تُحسبْ مـن اعيـان الـقبـائلْ
حولك «علي خالد» وصالح بَجَلْ   ذي كـان مسافـر أرض «باجـل»
رجـع لنـا بالـزّار يقـرط بصَل   وهـات يـا زَرْفِـه وزامـلْ
كـوَوْه ميـةْ مكـوى إلى أن عقل   وانّـه رجـل مضبـوط كـامـلْ
وحقّـك الجـربـه تغـطّي حمـل   سـبـول ذِره ، والآمـسـابـل
ونجلك أحمـد صـار ذيب العَـولْ   تحـرّر اسـمِـهْ في الأوائـلْ
والرزق؛ أما الرزق هو كـالأجل   مـا قـد قُسِمْ لا بـدّ حـاصـلْ
أبـوك لا تكـثر عليـه الشغـل   مـا هـو بـحيـله ، أو تحـايـلْ
لـو كان من أهـل الزّغـل والمغل   انـه مـلكـهـا لا «قـبـاتـلْ»

* * *

(١١٦)

وله من قصيدة طويلة :

قلبي يكاد لفرط الشوق ينصدع أحبّتي حمّلوه فوق ما يسعُ
قد عاد كالطفل يهوى كل سانحةٍ تبدو له وبلمح الطرف ينخدع
والقلب في قبضة الوجدان يعوزه التمييز في كل ما يأتي وما يدع

***

(١١٧)

وله من أخرى :

هات اسقني من كفّك العسجدي يا سلوتي في النّاس يا أوحدي
حتى ولو غبت فاني على ذكراك احسوها على الموعدِ

(١١٨)
موعدنا . . . غداً . .

من قصيدة قالها ابراهيم على إثر هزيمة ١٩٦٧ م وقد نشرت في احدى المجلّات العراقية :

لم أدر ما جدوى الحديث مردّدا ... لم يشف من ألمٍ ، ولم يبلل صدى ؟
يا ليت أنّا ما سللنا مقولاً . . . ... إلا مددنا نحو مكرمة يدا

وجاء فيها :

إن فاتنا يوم به فرح العِدا ... فسيعلمون بأن موعدنا غدا .

(١١٩)
نشيد الأحرار

نشرتها جريدة «صوت اليمن» في أعدادها الأولى باسم مستعار :

إن يكن باد مجدنا وهوى ركنه المشيدْ
وانقضى عزّ «حميَر» وخبا بأسه الشديدْ
قد دوت في عروقنا صرخة الماضي البعيد
وسرت في نفوسنا نشوة السؤدد المجيد
قسماً لن نعيش في أرض آبائنا عبيد
وهمُ القادة الأُلى ما على فخرهم مزيد
سَلْ عن القوم «ماربا» وسَلِ السفح من «زبيدْ»
و«ظفاراً» و«يحصباً» سَلْهُ عن مجدنا التليد
قسماً لن نكلّ أو ندرك المجد، أو نبيد
أيّها الظالم اتّئِدْ وعلى رأسك الوعيد
لم تَصُنْ حق امّةٍ عشت في أهلها سعيد
فلْتَزُلْ عن طريقها ثم دعها وما تريد

(١٢٠)

روح الحلّاج

حدّثي يا نجوم ، يا أرض ، يا شمسُ . . وقُلْ لي : ما أنتَ يا صرصارُ !؟
من أنا ؟ ليسَ تعلمين ؛ فانّي يا تفاهات ريحك الجبّارُ ،
قد لفظناك يا رماد هباءً ، ولكِ المجد كلّه . . يا نارُ . .

(١٢١)

إلى روح أبي

وكتب ابراهيم : قُلتها في الأردن عندما احتفل بقيام الثورة العربية الأولى «ثورة الحسين بن علي» وبما أن والدي آخر من توفّاه اللّه مِمَّن ساهموا في هذه الثورة؛ وقد منحه الشريف حسين بندقية وعاد بها إلى اليمن، وأسقط بها طائرة بريطانية في أيام الإمام يحيى ، وملأ والدي أرض اليمن شعراً بذلك الحدث فإني أهديها إلى روحه :

ليتني أستطيعُ أن أرسم إحساس أبي
وهو يروي لي بطولات «الكفاح العربي»
يصف الموكب حول «البيت» تِلْو الموكبِ،
يتنادون لإجلاء الدخيل الأجنبي

«لمن المضارب في ظلال الوادي ريّانة الجنبات بالروّادِ ؟
اللّه أكبر تلك أمةُ «يعرب» نفرت من الأغوار والأوهاد ،
لبّيكِ يا أرض العروبة واسمعي ما شئتِ من شدوي ومن إنشادي
أنا لا أفرّق بين اهلكِ ؛ انّهم أهلي ؛ وأنتِ بلادهم ، وبلادي»

* * *

ليتني أسطيع تصويرَ حديث البندقيّه؟
وأبي مُنتشياً يروي.. وتروي منتشيّهْ
نحن خضناها ضروساً في صراع الهمجيّه
حاولوا أن يخذلوا اللّه بخذل العربيّهْ.

* * *

جاهلٌ، أو حاقد أو... لا فكذّابٌ أشِرْ،
من يقُل إنا على اعدائنا لم ننتصِرْ
قد نهضنا وانتصرنا ولأمرٍ قد قُدِرْ
ومضى كلّ عدوٍّ وتولّى، ودُحِرْ

* * *

أين من صالَتْ لهم فوقَ أراضينا جنود؟
وعلَتْ فوق روابينا لهم يوماً بنود؟
أينَ في «جلّق» جبارٌ من العِلْجِ عنيد؟
حين نادى: «يا صلاح الدين» ها نحن نعود.

* * *

يا أخي في «الجبل الأخضر» في أرض المفاخِرْ
في «فلسطين» وفي كلّ بوادٍ، وحواضِرْ
من ذرى «ردفان» في الشرق إلى أقصى «الجزائرْ»
قمْ معي نزجي التحيات إلى «أول ثائرْ»

* * *

رحم اللّه حُسَيناً وحمى اللّه «الحسيْن»
عربيّ القلب والوجه معاً، والراحتَيْنْ
نافذٌ كالسَّيف في موقفه؛ لا بيْنَ.. بَيْنْ؟
كيف ننساه، وتنساهُ ضفاف «الرافدين»

* * *

من روابي «اليمن الخضراء» من «مصر» الأبيّهْ
من «عراق» المجد والنّصر، «عراق» الأريحيّهْ
رَائدَ الوحدةِ.. تهديك الجماهير... التحيّهْ
ومناها أن ترى الـــرايـة تعلو «عربيّهْ؟

* * *

(١٢٢)
الركن اليماني

ولـمّا وصـل ابـراهيم الحضراني إلى الـديـار المقدّسة سنـة ١٤٠٧ هـ ولم يتمكّن من الطواف بالبيت العتيق قام بزيارة صديقه ورفيقه في معتقل حجّة الأخ العلامة الأديب ابراهيم بن علي الوزير وقال منشداً :

لَئِنْ فاتني أن زرتُ مكّة خاشعاً لألْثم رُكناً أو لأسعى مناجيا
فما فاتني أنّي تطوّفتُ حولَه وصافحتُ ركناً «هاشمياً» «يمانيا»

* * *

(١٢٣)
غريب في رحاب الأكارم

وكان قبل ذلك بعام قد زار «واشنطن» ونزل ضيفاً على السيد الأديب الشاعر قاسم بن علي الوزير ومما قاله في تلك المناسبة :

ظلمت لسان «الشنفرى» إذ جررته ... معي لبلاد الأبعدين الأعاجمِ
إلى حيث لا من شاعرٍ أو مبارزٍ ... أنازله فيها ولا من منادمِ
لقد ضعت لولا فتية عربيّة ... لقحطان يُعزى مجدها ولهاشم
يناجيك من فتيانها كلّ أروع ... «لؤي» بن «زيد» و«البراء» بن قاسم[1]
ومن كرم الأيام وهي بخيلةٌ ... نزول غريب في رحاب الأكارمِ

* * *

(١) لؤي بن زيد بن علي الوزير، و«البراء» هو النجل الأكبر للسيد قاسم بن علي الوزير.

المحتويات

المقدمة ..... ٥ ـ ٥٢

ابـراهيم الحضراني ٨ ، لا أنقـدُ بـل أعـرّف ٢٧ ، الشعـر العـربي ومميزاته ٢٩ ، عودة إلى إبراهيم الحضراني ٣١ ، بكاء الشعراء على الشعراء ٣٣ ، مسك الختام ٣٥ ، ترجمة هـلال ناجي ٣٧ ، الحضراني الـرومانسي ٣٧ ، مـع البردّوني في رحلته ٣٩ ، الزيدي الراوية ٥٢ .

الديوان : قطوف الدواني ..... ٥٣ ـ ٢١٩

(١) فاز من شبّ على ما ينفع الشعب ٥٥

(٢) راحة الموت ٥٨

(٣) وهم الشقاء ٥٩

(٤) الروحان تتعانقان ٦٠

(٥) اذكرونا مثل ذكرانا لكم ٦١

(٦) يؤلمني ٦٢

(٧) هل من حيلة ؟ ٦٣

(٨) يا طير ٦٤

(٩) ونْحي لأحلام الصبا ٦٥

(١٠) يا صاحب القلب الكبير ٦٦

(١١) الهِمّة العالية ٦٧

(١٢) النفس الأول ٦٨

(١٣) بيت في الحب ٦٩

(١٤) أمنية ٧٠

(١٥) فراغ ٧١

(١٦) على سرير الموت ٧٢

(١٧) عندما أفقد آمال الحياة ٧٣

(١٨) الحب ٧٤

(١٩) في سبيل بلادي ٧٥

(٢٠) طاهش الحوبان ٧٦

(٢١) مطيتي على الصراط ٧٧

(٢٢) بلا عنوان ٧٨

(٢٣) على سفود الدهر ٧٩

(٢٤) قدر ٨٠

(٢٥) ليت ٨١

(٢٦) زفرة شيطان ٨٢

(٢٧) هكذا أحب ٨٣

(٢٨) ما لقلبي ؟ ٨٤

(٢٩) تاج العروس ٨٦

(٣٠) إباء الكريم ٨٧
(٣١) لا صبر ٨٨
(٣٢) لا عقل ٨٩
(٣٣) أبرهة عاد ٩٠
(٣٤) رمال عطشى ٩٢
(٣٥) أنا والحبيب ٩٣
(٣٦) حكم الهوى ٩٤
(٣٧) مستهام ٩٥
(٣٨) قلبٌ . . ونبع ٩٦
(٣٩) أيسر البذل . . الدم! ٩٧
(٤٠) ما زال ظلاماً ٩٨
(٤١) أيها النائمون . .
البراكين نائمة . . ! ٩٩
(٤٢) أنا ١٠٠
(٤٣) غادة الطائرة ١٠١
(٤٤) صمت نجد ١٠٢
(٤٥) قصتي مع الحسناء ١٠٣
(٤٦) كلهم يحدثني عنك ١٠٤
(٤٧) حب ـ ثم فراق ـ ثم لقاء ١٠٥
(٤٨) وداعاً يا ١٠٦
(٤٩) نغم يترنّح ١٠٧
(٥٠) وكتب إلي مقطوعة مطلعها .. ١٠٩
(٥١) ي ، م ، ن ١١٠
(٥٢) من قصيدة طويلة ١١١
(٥٣) تحية لعدن ١١٢
(٥٤) يمنيّ في القاهرة ١١٣
(٥٥) شكوى صامتة ١١٤
(٥٦) يمني في شوارع روما ١١٦
(٥٧) بناة السد العالي ١١٧
(٥٨) الشلال ١١٩
(٥٩) صديقة الهاتف ١٢١
(٦٠) من خلق الفتنة غيري أنا ؟ ١٢٢
(٦١) صفحتان من الرحلة ١٢٣
وهامش
(٦٢) لماذا أخاف من الموت ؟ ١٢٦
(٦٣) الأمير عبد اللّه بن عبد ١٢٧
العزيز والمطر.
(٦٤) إلى أين ؟ ١٢٨
(٦٥) صدى الشوق ١٢٩
(٦٦) الحداة والقافلة ! ١٣١
(٦٧) وداع صديق ١٣٣
(٦٨) ضحايا الحرب ١٣٥
(٦٩) عبد اللّه العزب ١٣٧
(٧٠) إلى الصديق الراحل الشاعر
محمود حسن اسماعيل ١٣٩
(٧١) جيل التحدي ١٤٠
(٧٢) على قبر جوته ١٤٢
(٧٣) الشهيد عبد اللّه بن ١٤٤
محمد الوزير
(٧٤) سفينة قد مات ربانها ١٤٦
(٧٥) الرئيس جمال جميل العراقي ١٤٧
(٧٦) حافظ وشوقي ١٥٠
(٧٧) يا صديقي ١٥١
(٧٨) المجد للنّار ١٥٣

(٧٩) لو ١٥٤
(٨٠) أعلى القمم ١٥٥
(٨١) رسالة ١٥٦
(٨٢) الناس ١٥٨
(٨٣) أنا في العراق ١٥٩
(٨٤) تحية واعتراف ١٦٠
(٨٥) عائد من لبنان ١٦١
(٨٦) الجبال تتذكر ١٦٢
(٨٧) قاضٍ ١٦٤
(٨٨) درويش ١٦٥
(٨٩) قبلة الشموخ ١٦٨
(٩٠) الشاهد ١٦٩
(٩١) عبلة ١٧٠
(٩٢) الذخر والمعتمد ١٧١
(٩٣) أنت كما شئت ١٧٣
(٩٤) حسّان أو سلمان ١٧٤
(٩٥) عواطف ١٧٧
(٩٦) في عالم الشعر ١٨٠
(٩٧) أصداء رمضان ١٨٣
(٩٨) مشروع قصيدة ١٨٥
(٩٩) يا قلب كم سرّك لقاء الحبيب ١٨٦
(١٠٠) مع مغترب جديد ١٨٧
(١٠١) بلا عنوان ١٨٩
(١٠٢) شموخ الضاد ١٩٠
(١٠٣) صِلي . . أو فصدّي ١٩١
(١٠٤) شكوى إلى عميد الأدب
الدكتور طه حسين ١٩٢
(١٠٥) فرحتان ١٩٤
(١٠٦) يا بني العمّ ١٩٥
(١٠٧) يا ناس ضاع الطريق ١٩٧
(١٠٨) نشيد مغترب ١٩٨
(١٠٩) لبّيك ١٩٩
(١١٠) سلام ٢٠١
(١١١) «تسلّي» ونسيان ٢٠٢
(١١٢) قَدْكِ ٢٠٣
(١١٣) لقاء الحبايب [حمينية] ٢٠٤
(١١٤) إلى أخي . . [حمينية] ٢٠٦
(١١٥) أخي رعاك اللّه [حمينية] ... ٢٠٨
(١١٦) له من قصيدة ٢١٠
(١١٧) وله من أخرى ٢١١
(١١٨) موعدنا . . . غداً ٢١٢
(١١٩) نشيد الأحرار ٢١٣
(١٢٠) روح الحلّاج ٢١٤
(١٢١) إلى روح أبي ٢١٥
(١٢٢) الركن اليماني ٢١٨
(١٢٣) غريب في رحاب الأكارم .. ٢١٩

القطوف الدّواني

إنها رحلة ممتعة، تلك التي رحلتُها مع شعر صديق العمر، الشاعر الأديب إبراهيم بن أحمد الحضراني.. إنها رحلة نصف قرن من الزمان.

خمسون عاماً هلكت خلالها أُمَمٌ، ونشأت أمم، وانهزمت دُوَلٌ وانتصرت دول، واجتاحت العالم في أثنائها أحداث جسامٌ كالحرب العالمية الثانية التي شملت أرزاؤها وكوارثها أوروبا وآسيا وإفريقية وأكثر أصقاع المعمورة، ثم ما تحكّم بعدها من عزّة القوة المنتصرة، وذلّة الضعف المنهزم، وما نجم من اضطرابات وانقلابات وصراع من أجل الاستقلال والتحرّر في الهند والسند والحبشة والمغرب والجزائر، وكارثة فلسطين، وما حدث في اليمن على وجه الخصوص من مجاعات وأمراض وقحط وصراع وثورات، كان الشاعر إبراهيم الحضراني في خضمّها بل وفي دوّامتها.

إن جهدي في جمع هذه «القطوف» الشعرية لم يكن سهلاً ولا ميسوراً، وترتيبها وإخراجها في «ديوان» قد أتعبني وأضناني، لأن أشعار صديق العمر مشتتة، فهو لم يتعود حفظ قصائده ومقطوعاته، وهي كثيرة وفي كل وادٍ منها عصا...

إنها رحلة شعرية مع شاعر صديق استمرت خمسين عاماً، لا أظنه قال في أثنائها شعراً ولم يقرأه عليّ، أو لم أعلمه من أصدقائه وأحبابه.

لقد أردت خدمة للأدب اليمني أن أجمع ديوان إبراهيم الحضراني وأخرجه للناس، لأن إبراهيم في طليعة الطبقة الأولى من شعراء اليمن ليس في القرن الرابع عشر الهجري فحسب، بل عبر العصور في الجاهلية والإسلام.

أحمد بن محمد الشامي

منشورات العصر الحديث

توزيع
دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع